مَفْهُومُ التَّصَوُّفِ

تأليف

عبده غالب أحمد عيسى

دار الجيل
بيروت

مَفْهُومُ التَّصَوُّف

مَفْهُومُ التَّصَوُّف

تأليف

عبده غالب أحمد عيسى

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

تعريف بالمؤلف

لفضيلة الشيخ الأمين بن محمد المحيسن

المطَّلع على سيرة المؤلف عبده غالب أحمد عيسى الذاتية المثبتة في ذيل مؤلفاته المطبوعة بأنه متخرج من كلية العلوم ـــ جامعة الخرطوم ومتخصص أحياء نبات وكيمياء، يدور بخلده السؤال:

ـــ كيف التوفيق بين منهج المؤلف ذي الدراسة الأكاديمية وبين مؤلفاته الدينية والأدبية المتعددة المقاصد ؟.

فالإجابة: أن هذه المؤلفات ليست وليدة الصدفة المجردة ولا الاجتهاد الشخصي وإنما الرجل المؤلف وأصل دراسته الدينية والعربية عبر سنين عديدة وعلى شيوخ علماء.

بدأ دراسته على الشيخ محمد الحسين الشنقيطي إمام مسجد المرحوم علي أحمد بسوق أم درمان الكبير. ثم درس على الشيخ إبراهيم ميبتوت خريج معهد أم درمان العلمي بعض كتب الفقه مثل «متن العزية» و «متن الرسالة» وكتاب «متن العقباوية» في التوحيد. ثم واصل ملازمة العلامة الورع حسن السيرة والسريرة خالد الذكر العلامة الشيخ محمد المجذوب مدثر الحجاز بمسجد والده بسوق الشجرة بأم درمان، فقد درس عليه تفسير الجلالين وبعض أجزاء من مختصر الشيخ خليل بن إسحاق وأقرب المسالك من الفقه المالكي وبعض أجزاء من صحيح الامام البخاري كما ودرس عليه كتاب رياض الصالحين في الحديث.

ثم واصل دراسته مع العلامة الشيخ محمد علي الطريفي المحاضر بكلية القرآن الكريم بأم درمان. فدرس عليه في الفقه حاشية العدوي وبلغة السالك، وفي اللغة حاشية أبي النجا على شرح الأجرومية وكتاب قطر الندى في النحو، ولا يزال يواصل الحضور عليه.

كما حضر ولا يزال يحضر على الشيخ العلامة المحقق أحمد الفكي بالحتانة بأم درمان دروساً في الفقه المالكي. ودرس على الدكتور الوسيلة موسى

والشيخ أحمد عبد الرحيم كتاب الرحبية في علم الميراث.

كما حضر على كاتب هذه السطور كتب اللغة العربية الآتية:

١ ـــ التحفة السنية بشرح الأجرومية.
٢ ـــ تنقيح الأزهرية.
٣ ـــ شرح قطر الندى لابن هشام.
٤ ـــ شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك.
٥ ـــ البلاغة الواضحة.
٦ ـــ المنهاج الواضح في علوم البلاغة بأجزائه الخمسة.

ولا يزال يواصل دراسته معي. ودرس على الشيخ احمد الجد والاستاذ ياسين محمد طاهر علم التجويد.

وليست هذه أو هذا التعريف من باب « الدعاية » أو الاعلام أو الاعلان وإنما دفع لما يحدث من لبس بين متخصص في علوم أكاديمية ومؤلف في علوم دينية. فنريد بهذا التعريف إزالة اللبس، وان المؤلف دارس العلوم الدينية والعربية دراسة متأنية مثبتة فهو من أهلها وليس دخيلاً عليها.

وفي الختام أسأل الله أن ينفعه بعلمه وينفع بعلمه إنه سميع مجيب.

الفقير إلى عفو ربه القدير
الأمين بن محمد المحيسن

الحائز على شهادة العالمية من معهد أم درمان العلمي العالي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه الطاهرين.

مقدمة

إن فن التصوُّف من الفنون والعلوم التي انتشرت في البلاد الإسلامية، وهو علم له أُسس وقواعد بني عليها. ولكن لمَّا كان الجهل قد ضرب أطنابه على الكثير من أبناء الأمة الإسلامية وصار الكثير من المسلمين يأخذون بالقشور دون اللباب، صارت حقيقة هذا العلم « علم التصوُّف » شبه المندرسة تماماً، ليس عند عامة المسلمين فحسب بل عند مَنْ يدَّعون الانتساب الى المتصوِّفة ويتظاهرون بأنهم من المتصوِّفة وهم بعيدون كلَّ البعد عن التصوُّف الذي قرَّره علماء الإسلام المتحقِّقون بالعلوم الشرعة، اصولها وفروعها. بل وإنه من المؤسف أنَّ التصوُّف صار في فَهْمِ الكثير من

المسلمين هو لبسَ ملابس الصوف، أو لبسَ الملابس الخشنة أو المرقعة، أو حمل السبحة والتجوُّل بها في الطرقات، أو إسدال الشعر على الكتفين، ووَضْع الكحل في العينين ورحم الله ابن الجوزي حين قال :

لَيْسَ التصوفُ لُبْسَ الصُّوفِ تَرْقَعُهُ
ولا بكـاؤُكَ إِنْ غَنَّـى المُغَنُّونَـا
وَلاَ رَقْصٌ ولا طَـرَبٌ ولاَ صَرِيْـخٌ
كأَنْ قَدْ صِرْت مَجْنُونَـــــا
بَلِ التَّصَوّفُ أنْ تَصْفُو بِلَا كَدَرٍ
وتَتْبَـعَ القُـرآنَ والعِلْـمَ والدِّينَـا
وأَن تُرَى خَاشِعـاً لله مُكْتَئِبَـاً
عَلَى ذُنُوبِكَ طولَ الدَّهْـرِ مَحْزونَـا

ولذا فقد أَرَدْتُ في هذا الكتاب كَشْفَ النقابِ ورَفْعَ الحجابِ عن « مفهوم التصوُّف » الحقيقي الذي رسمه علماء الشرع حتى يطَّلعَ كلُّ مسلم على حقيقة الأمر ولبابه،

والله أسأل أن يفيد بهذا العمل وأن يغفر لي ولجميع المسلمين الخطأ والزلل.

آمين

علم التصوف

تحديده

وفي بداية الحديث عن التصوُّف ومفهومه الصحيح أود أن أذكر للقارئ الكريم من أين أُخِذ هذا الاسم « التصوف ».

إنَّ هذا الاسم « التصوف » مأخوذ من : « الصفاء ». والصفاء هو : خلوص الباطن من الشهوات والكدرات[1].

فعلم التصوف يهتمُّ بصفاء القلب من الشهوات كحبِّ الرئاسة وحبِّ السمعة وحبِّ المحمدة من الناس، وبصفائه من الكُدُرات أي الأمراض القلبيَّة كالحقد والحسد والكبر والعجب والغرور وسوء الظن بالناس.

---

(١) الكدرات : الأدران . الأوساخ.

وما جاء هذا الاهتمام بالقلب إلّا لأنَّ القلبَ هو المَلِكُ على مملكة البدن في الإنسان، فإذا صلح الملك الراعي صلحت الرعية أي أعضاء جسم الإنسان المختلفة وجوارحه أعني بها العين والأذن واللسان والبطن واليد والرجل والفرج. وبالعكس إذا فسد الملك، أي القلب، فسدت الرعية.

وقد قال النبي ﷺ :

« أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ ».

(رواه البخاري ومسلم)

وإن صفاء القلب من الشهوات والكدرات يحتاج من المسلم الى أمرين :

الأول : معرفة أمراض القلب ودسائسه.

الثاني : العمل بدقَّة وجهاد عظيم كبير على تجنُّب هذه الأمراض والوقاية منها؛ أو معالجة هذه الأمراض إن أصيب بها.

والوقاية والعلاج لا يكونان إلّا بمراقبة الله في السر والعلن. فيكون قلب المسلم حينئذ كأنه مشاهد لله أو يعتقد أن الله مشاهد له، وهذا هو الإحسان الذي أشار له

النبي ﷺ. فقد ورد من جملة حديث طويل أن سيدنا جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ ؟

قال : « أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَراهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ».

قال ابن عاشر رحمه الله تعالى في شأن صفاء القلب من أدرانه ومراقبته لله ربه :

يُطَهِّرُ القَلْبَ مِنَ الرِّيَاءِ
وَحَسَدٍ، عُجْبٍ، وكُلِّ دَاءِ

ثم قال :

يُحَاسِبُ النَّفسَ عَلَى الأَنْفَاسِ
وَيَزِنُ الخَاطِرَ بِالقِسْطَاسِ[1]

تنبيه :

سيأتي الكلام على بعض امراض القلوب[2] في هذا الكتاب بشيء من الاختصار إن شاء الله تعالى.

---

(١) اي يزن ما يخطر بقلبه من الأمور بميزان الشرع فإن وافقه فعله وإلّا تركه.

(٢) كل من أراد التعرُّف عليها بشيء من التفصيل فليرجع إلى كتابي « أمراض القلوب وعلاجها ».

أسس علم التصوف

وإن لعلم التصوف أُسساً قد بني عليها وهي :

الأساس الأول : معرفة عقائد الإيمان.

الأساس الثاني : معرفة الأحكام الفقهية.

الأساس الثالث : العمل بمقتضى العلم.

الأساس الرابع : الإخلاص في العمل.

وفيما يلي نوضح كل واحد من هذه الأسس.

الأساس الأول : معرفة عقائد الإيمان.

ويقصد بذلك أن يعرف المسلم العقائد الإيمانية التي يجب عليه بالشرع أن يعرفها والتي هي مستنبطة من كتاب الله الكريم ومن سُنَّة نبيِّه عليه أزكى الصلاة وأتمُّ التسليم فيكون على علم بالواجب في حق الله تعالى[1]،

---

(١) يمكن الرجوع الى كتابي « كيفية الشهادتين ».

والمستحيل في حق الله تعالى، والجائز في حق الله تعالى.

. وكذلك يعلم بالواجب والمستحيل والجائز في حقِّ الأنبياء والرسل، ويؤمن بالمذكور أعلاه وبالكتب المنزلة والملائكة وعلامات القيامة ويوم القيامة وما فيه النشر والحشر والحساب والميزان والصراط وغير ذلك من جميع ما سُمع من كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيِّه ﷺ.

قال الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والمُؤمِنُون كُلٌّ آمَنَ بالله وَمَلآئِكتِه وكُتُبِه وَرُسُلِه لَا نُفرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه وَقَالُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفرانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيْر** ﴾[1].

وورد من جملة حديث طويل رواه مسلم أنَّ سيدنا جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : « فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَان قال : أَنْ تُؤمِنَ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ».

وما أحسن ما أجاب به أحد العلماء في بعض الأسئلة، فقد قال :

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥

إن سألت عن أسمائه، فقد قال : ﴿ ولله الأسماءُ الحُسْنَى ﴾[1].

وإن سألت عن صفاته، فقد قال : ﴿ قُلْ هُوَ الله أحدٌ * الله الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد ﴾[2].

وإن سألت عن أقواله، فقد قال : ﴿ إنَّمَا قَولُنَا لشيءٍ إذَا أردناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[3].

وإن سألت عن أفعاله، فقد قال : ﴿ كُلّ يَوْمٍ هُوَ فِي شأن ﴾[4].

وإنْ سألت عن نعته، فقد قال تعالى : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيم ﴾[5].

وإن سألت عن ذاته، فقد قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيءٌ ﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٠

(٢) سورة الإخلاص بكاملها.

(٣) سورة النحل الآية ٤٠

(٤) سورة الرحمن الآية ٢٩

(٥) سورة الحديد الآية ٣

(٦) سورة الشورى الآية ١١

الأساس الثاني : معرفة الأحكام الفقهية

ويقصد به أن يتعلَّم المسلم العلمَ الذي تصحُّ به عبادته من صلاةٍ وزكاة وصيام وحجّ، وكذلك ما تصحُّ به عقوداته ومعاملاته كأحكام النكاح والبَيْع ... الخ.

قال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا العِلمُ بالتَّعلُّمِ »

(رواه البخاري)

ففي الحديث إشارة للخير الذي يناله المتفقِّه في دينه في الدنيا والآخرة، فعبادته تكون موافقةً لما جاء به الشرع ممَّا يجعله مطمئنَّ القلب ساكنَ النفس إلى أن يلقى ربه بخاتمة حسنة إن شاء الله تعالى.

وكذلك في الحديث إشارةٌ وحثٌّ للمسلم والمسلمة على طَلَبِ علم الفقه والذي هو فرض على كل مسلم ومسلمة أراد أن يُقْدم على عبادةٍ وعمل من الأعمال. ففي الحديث « وإنما العلمُ بالتعلم » أي إنه لا بُدَّ لكل مَن أراد أن يتعلم علماً أن يطلبه من أهله أي من العلماء الذين لهم صلة به قال تعالى : ﴿ **فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُم لَا تَعْلَمُون** ﴾[1].

---

(١) سورة النحل الآية ٤٣، والأنبياء : ٧

وكلُّ مَنْ ظنَّ أنه يتلقَّى العلم بشراء كتاب من المكتبة وقراءته فقط فقد أخطأ الطريق فالعلم في الصدور وليس في السطور أي في صدور أهل العلم. قال تعالى : ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بيّنات في صُدُورِ الَّذين أُوتُوا العِلْمَ** ﴾[1].

ولو لم يكن هنالك حاجة إلى العالم المدرِّس لما أنفقت الأموال وتعبت الدول في فَتْحِ جامعاتٍ ومعاهدَ ومدارس، بل كان كل مَنْ يريد معرفة علمٍ من العلوم يكتفي بشراء كتاب في المادة المعينة ويقوم بقراءته فقط.

وبالجملة ينبغي ويجب على كل مسلم أن يسعى في طلب العلم الشرعي والتفقُّه في دين الله تعالى، ولا يستكبر عن ذلك لكثرة ماله أو لرفعة منصبه وشهادته التي تلقَّاها من الجامعات وغيرها في علم من علوم الطب أو الهندسة أو الكيمياء مثلاً ... الخ وقد قيل : « ميمان لا يتعلَّمان : مستكبر ومستحٍ ».

وكل مسلم أراد القدوم على أمر من الأمور يسعى في

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٩

التعرُّف على حكمه أولاً من الناحية الشرعية. قال ابن عاشر :

وَيُوقَـفُ الْأُمُورَ حَتَّـى يَعْلَمَـا
مَا اللهُ فِيهِـنَّ بِهِ قَدْ حَكَمَـا.

الأساس الثالث : العمل بمقتضى العلم

وإن ثمرة العلم هي العمل بمقتضى العلم. وكل مَنْ عَمِل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم. قال الله تعالى : ﴿ **واتَّقُوا الله ويُعَلِّمُكُمُ الله** ﴾.[1]

فالتقوى أي العمل بالعلم من امتثال للمأمورات واجتناب للمنهيات، تفتح للمسلم أبواباً من العلم، قال الشافعي رحمه الله :

شَكَوْتُ إلى وَكِيْعٍ سُوءَ حِفْظِي
فَأَرْشَدَنِي إِلَـى تَرْكِ المَعَـاصِي
وأَعْلَمَنِـي بِأَنَّ العِلْـمَ نُورٌ
وَنُـورُ اللهِ لَا يُهْـدَى لِعَـاصِي

فالمعصية وعدم العمل بالعلم على النقيض ممَّا ذكرناه تكون سبباً للإنسان في فَتْحِ أبواب الفتن والبلايا

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢

وتعريضه لعذاب الله الأليم. قال الله تعالى : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُون عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيْبَهُم فِتْنَةٌ أوْ يُصِيْبَهُم عَذَابٌ أَلِيم** ﴾[1].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « يُجَاءُ بِالعالِمِ السوءِ يَوْمَ القيامَةِ فيقذفُ في النّار، فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحى.

فيقال له : بما لقيت هذا وإنما اهتدينا بك ؟

فيقول : كُنتُ أُخالفكم إلى ما أنهاكم عنه »

(رواه ابو داود والترمذي وحسنه)

ومعنى يدور بقصبه أي يدور بأمعائه في النار.

وقد قسم صاحب « العقد الفريد » العلم من حيث العمل به الى قسمين فقال ما نصه :

« والعلم عِلمان : علم حُمِلَ. وعلم استُعْمِل. فما حُمِل منه ضَرَّ وما استعمل نفع ». انتهى.

وما ذلك إلّا أنّ حامل العمل من غير عمل به مَثَلُهُ كمَثَلِ الحمار يحمل أسفارا.

---

(١) سورة النور الآية ٦٣

وقد كان من دعاء رسول الله ﷺ: « أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلمٍ لَا ينفع »

(رواه مسلم والترمذي والنسائي)

ولذلك حين قيل لأحد العلماء وهو المهلب رحمه الله تعالى : بم أدركت ما أدركت ؟

قال : بالعلم.

قيل له : فإن غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت !!

قال : ذلك عِلمٌ حُمِل وهذا علمٌ استُعْمِل.

الأساس الرابع : الإخلاص في العمل

وإن الأساس الرابع الذي بني عليه علم التصوُّف هو : الإخلاص في العمل. ويقصد بذلك أنّ المسلم يكون مراقباً لربِّه مراقبة دقيقة فلا يُقْدم على عمل من الأعمال الصالحة الّا وهو يريد به وجه الله تعالى لا لرياءٍ أو سمعة أو حبِّ محمدةٍ من الناس.

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاة وَيُؤتُوا الزَّكاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمةِ** ﴾[1].

(١) سورة البينة الآية ٥. حنفاء: مائلين عن جميع الأديان إلى دين الإسلام. دين القيمة: أي الملة المستقيمة.

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أولَ الناسِ يُقْضَى عَلَيْهِ يَوْم القيامة رَجُلٌ استُشْهِدَ في سبيل الله، فأُتِيَ بِهِ فعرَّفه نِعَمَهُ فعرَفَهَا،

قال : فما عملت فيها ؟

قال : قَاتَلْتُ فيك حَتّى استُشْهِدْتُ.

قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريء وقد قيل.

ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه حتى القي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأُتِيَ به فعرفه نِعَمَهُ فعرفها.

قال : فما عملت فيها ؟

قال : ما تركت من سبيلٍ تحبُّ أن ينفق فيها إلّا أنفقت فيها لك.

قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل.

ثم أُمِر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلَّم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأُتيَ به فعرَّفَهُ نعمه فعرفها.

قال : فما عملت فيها ؟

قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن.

قال : كذبت، ولكنك تعلمت ليقال هو عالم، وقرأت ليقال هو قارئ.

ثم أُمِر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار »

(رواه مسلم)

مبادئ علم التصوف

وإنه من المعلوم أن لكل علم مبادئ عشرة وهي :

١ ـــ الحد ٢ ـــ الموضوع ٣ ـــ الثمرة
٤ ـــ الفضل ٥ ـــ النسبة ٦ ـــ الواضع
٧ ـــ الاستمداد ٨ ـــ حكم الشارع
٩ ـــ المسائل ١٠ ـــ الاسم.

والتي قد اشار لها الشاعر رحمه الله بقوله :

إنَّ مبـــــادئ كُلِّ فَنٍ عشرة
الحَـــدُّ والمَـــوضُوعُ ثُمَّ الثمـــرة
وفضلـــه ونسبـــة والـــواضع
والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى
وَمَنْ درى الجميعَ حاز الشرفا

وإننا فيما يلي سنذكر إن شاء الله تعالى مبادئ علم التصوف وهي :

١ ــ حد علم التصوف أو تعريفه

لعلم التصوف تعريفان هما : تعريفه علماً، وتعريفه عملاً.

أ ــ تعريفه علماً : هو علم بأصول[١] يعرف به صلاح القلب وسائر الحواس[٢].

ب ــ تعريفه عملاً : هو الأخذ بالأحوط من المأمورات واجتناب المنهيات والاقتصار على الضروريات من المباحات.

٢ ــ موضوع علم التصوف

هو الأخلاق المحمدية من حيث التخلُّق بها.

تنبيه :

والمقصود بالتخلُّق بها امتثال أوامر القرآن ونواهيه لما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها حين سُئلت عن أخلاق النبي ﷺ قالت : كان خلقه القرآن.

---

(١) أصول : قواعد

(٢) فالعين حاسة البصر والأذن حاسة السمع والأنف حاسة الشم واللسان حاسة الذوق واليد حاسة اللمس.

٣ ـ فضل علم التصوف

هو من العلوم الشريفة لأنه يتعلَّق بصلاح القلب وسائر الحواس في الدنيا.

٤ ـ ثمرة علم التصوف أو فائدته وغايته.

وإن غايته هي الفوز بأعلى المراتب في العقبى.

٥ ـ نسبة علم التصوف

هو فرع علم التوحيد.

٦ ـ استمداد علم التصوف

استمداده من الكتاب والسنة

٧ ـ اسم علم التصوف

هو « علم التصوف »

٨ ـ حكم علم التصوف

حكمه : الوجوب.

٩ ـــ واضع علم التصوف

واضعه هم العارفون الآخذون له عن النبي ﷺ بالسند المتصل.

١٠ ـــ مسائل علم التصوف

مسائله هي قضاياه التي يبحث فيها عن عوارضه الذاتية كالمراقبة والمشاهدة .. الخ.

تنبيه :

ولقد كتب الشيخ أحمد الدردير في كتابه « الخريدة البهية » في علم التوحيد بعض الجمل في :

أ ـــ التصوف بمعنى الطريقة،

ب ـــ التصوف بمعنى الشريعة،

ج ـــ التصوف بمعنى الحقيقة،

فقال ما نصه : « واعلم أنّ التصوُّف بمعنى العمل هو الطريقة، وأما الشريعة فهي أسرار الشريعة ونتيجة الطريقة فهي علوم ومعارف تحصل لقلوب السالكين بعد صفائها من كُدُرات الطباع البشرية.

أركان طريق التصوُّف

ولطريق التصوف أركان عشرة يلتزم بها السالك ويسير على هداها وتكون نصب عينيه وهي :

١ ــ دوام الذكر.
٢ ــ الجوع.
٣ ــ السهر.
٤ ــ الاعتزال عن الناس.
٥ ــ الصمت.
٦ ــ تجديد التوبة.
٧ ــ الشكر.
٨ ــ الصبر.
٩ ــ الفكر.
١٠ ــ الشيخ العالم العارف.

وفيما يلي نورد للقارئ الكريم المقصود بكل ركن من هذه الأركان بسهولة واختصار :

١ ــ دوام الذكر

وإنّ الشرع قد حثَّ المسلم على الإكثار من الذكر ومداومته آناء الليل وأطراف النهار لما في الذكر من تنوير للقلب الذي هو الملك في مملكة البدن.

قال الله تعالى: ﴿ **واذكُروا الله كثيراً لعلَّكُم تفلِحُونَ** ﴾[١].

وقال تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً، وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً** ﴾[٢].

وفي الحديث : ورد عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال : يا رَسُولَ الله إنَّ شَرَائِعَ الإسلام قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأخبرِني بِشيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ .

قَالَ : « لَا يَزَالُ لِسَانكَ رطباً مِنْ ذِكْرِ الله »

(رواه الترمذي وقال : حديث حسن)

٢ ــ الجوع

والمراد به أن لا يتجاوز المسلم الحدَّ في أكله وشربه

---

(١) سورة الجمعة الآية ١٠

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤١.

حتى يحصل له الضرر. والشيء المناسب أن لا يأكل الإنسان حتى يجوع واذا شرع في الأكل يقوم منه ونفسه تشتهيه وهذا كله إذا كان ما يأكله حلالاً.

قال الله تعالى : ﴿ **وَكُلُوا واشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إنَّهُ لَا يُحِبُّ المُسْرِفِين** ﴾[1].

وفي الحديث : قال رسُولُ الله ﷺ : « مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْن. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ[2] يُقِمْنَ صُلْبَهُ؛ فَإنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ ».

(رواه الترمذي وقال : حديث حسن)

وقال الشاعر :

يُمِيْتُ الطَّعَامُ القَلْبَ إنْ زَادَ كَثْرَةً
كَزَرْعٍ إذَا بِالمَاءِ قَدْ زَادَ سَقْيُهُ
وإنَّ لَبِيْباً يَرْتَضِي نَقْصَ عَقْلِهِ
بِأَكْلِ لُقَيْمَاتٍ لَقَدْ ضَلّ سَعْيُهُ.

٣ ــ السهر

ويقصد بالسهر قيام الليل بالعبادة من صلاة وذكر لله

(١) سورة الأعراف الآية ٣١
(٢) أكلات : لُقَمٌ

تعالى. قال الله تعالى مادحاً عباده الذين يسهرون في طاعته : ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ **كَانُوا قَلِيْلاً مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾[2].

وفي الحديث : روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها « أنَّ النبي ﷺ كَانَ ينامُ أوَّلَ اللَّيلِ ويقومُ آخِرَه فيصلي ».

تنبيه هام :

ليتنبه المسلم إلى أن « وقت السحر » يقصد به الثلث الأخير من الليل. ويمكن معرفته بسهولة، وذلك بأن يحسب الإنسان عدد الساعات من دخول الليل أي غروب الشمس وإلى طلوع الفجر الصادق أي مبدأ دخول وقت صلاة الصبح، ثم يقسم عدد هذه الساعات على ثلاثة ويخصمها من ساعة طلوع الفجر ليأتيه مبدأ ثلث الليل الأخير.

---

(١) سورة السجدة الآية ١٦

(٢) سورة الذاريات الآيتان ١٧ و ١٨. يهجعون : ينامون

مثال : إذا فرضنا غروب الشمس في يوم ما الساعة الخامسة والنصف مساء ووقت طلوع الفجر الساعة الرابعة صباحاً ــ فبينهما مدة الليل وهي تساوي عشر ساعات ونصف الساعة.

* نقسم $\frac{1}{2}$ ١٠ ساعة على ٣ = $\frac{1}{2}$ ٣ ساعة.

* نخصم $\frac{1}{2}$ ٣ ساعة من وقت طلوع الفجر الساعة ٤ صباحاً.

* الناتج هو مبدأ ثلث الليل الأخير وهو في هذا المثال = $\frac{1}{2}$ ١٢

أي الساعة $\frac{1}{2}$ ١٢ صباحاً.

٤ ــ الاعتزال عن الناس

ويقصد به أن يتجنَّب الإنسان لقاء الناس في غير ضرورة من معاش أو طلب علم أو تعليمه أو صلة رحم .. الخ ممّا هو مندوب أو واجب شرعاً.

قال الله تعالى : ﴿ **فَفِرُّوا إلى الله إنِّي لَكُم مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِيْنٌ** ﴾[1].

(١) سورة الذاريات الآية ٥٠

وفي الحديث : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

قَالَ رَجُلٌ : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يا رسول الله ؟

قال : « مُؤمِن مُجاهِدٌ بنفسه وماله في سبيل الله ».

قال : ثُمَّ مَنْ ؟

قال : « ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ في شِعبٍ[1] مِن الشِّعَابِ يَعبُدُ رَبَّهُ ».

وفي روايةٍ : « يتَّقِي الله ويَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ »

(رواه البخاري ومسلم)

وما أحسن قول التهامي رحمه الله تعالى في العزلة :

لقــاءُ النَّــاسِ لــيس يُفيــدُ شيئــاً
سِوى الهَذَيَــان مِنْ قِيــلٍ وقَــال
فأقلــل من لقَــاءِ النَّــــاس إلَّا
لأخـــذ العلـــم أو إصلاح حال

وأما حضور الصلاة في الجماعات وحضور مجالس العلم والذكر وغير ذلك من مجالس الخير ومشاهده

(١) شعب : طريق في الجبل وما انفرج بين الجبلين.

ومجالسة العلماء الأخيار العاملين بعلمهم، فهو مطلوب شرعاً.

وفي الحديث: « مَثَلُ الجَليسِ الصَّالِح، والجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ[1]، وَكِيرِ الحَدَّادِ[2]، لَا يَعْدِمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ، إمَّا أنْ تَشْتَرِيَهُ أو تجِدَ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحدَّادِ يُحْرِقُ بَيْتَكَ، أوْ ثوْبَكَ، أو تجِد مِنْهُ رِيْحاً خَبِيْثَةً »

(رواه البخاري عن أبي موسى)

٥ ــ الصمت

ويقصد به عدم الكلام إلّا ممَّا فيه فائدة. فالمسلم يجب عليه أن يعلم بأنه مسئول عن كل كلمة ينطق بها.

قال الله تعالى: ﴿ **إذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيَان عَنِ اليَمِينِ والشِمَالِ قَعِيْدٌ * مَا يَلفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيْدٌ** ﴾[3].

وجاء من جملة حديث نبوي: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالى عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

---

(١) حامل المسك: الذي له رائحة طيبة.

(٢) كير الحداد: ما ينفخ فيه الحداد لإيقاد النار.

(٣) سورة ق الآيتان ١٧ و ١٨.

« مَنْ كانْ يؤمِنُ باللهِ واليْومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أوْ لِيَصْمِتْ »

(رواه البخاري ومسلم)

وقال الشاعر رحمه الله :

احفَظْ لسانَكَ وَاسْتَعِذْ من شرِّهِ
إنَّ اللسانَ هُوَ العدوُّ الذَّابِحُ
وزِنِ الكلامَ اذا نطَقْتَ بمجلسٍ
وزناً يلوحُ بِهِ الصَّوَابُ اللائِحُ
فالصَّمْتُ مِن سَعْدِ السُّعُود بمطلعٍ
يحمي الفتى والنُّطْقُ سَبْعٌ ذابِحُ

فكلام المسلم ينبغي أن يكون له تعلُّق بمصلحة دينية : كتعليم العلوم الشرعية، وتلاوة القرآن أو الذكر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، وكلمة حق عند سلطان جائر، أو الكلام مع الزوجة والضيف؛ وما فيه مصلحة دنيوية تتعلَّق بضرورة الإنسان. وما عدا ذلك فالصمت حينئذ مطلوب. قال الله تعالى :

﴿ لَا خَيْرَ في كثيرٍ مِنْ نَجْوَاهُم إلَّا مَنْ أَمَرَ بصدقَة أو مَعْروفٍ أو إصلاحٍ بينَ النَّاسِ ﴾[1].

---

(١) سورة النساء الآية ١١٤

٦ ـــ تجديد التوبة

ويقصد بالتوبة أن يرجع المسلم الى الله تعالى من المعصية سواء كانت من الصغائر أو الكبائر. وللتوبة أربعة أركان متى ما تحققت كانت التوبة صحيحة ومتى ما فقدنا واحداً منها كان العكس.

والأركان هي :

أ ـــ الندم على ما وقع من المعاصي.
ب ـــ العزم على عدم العود للمعصية.
ج ـــ الإقلاع عن المعصية في الحال.
د ـــ رد المظالم إلى أهلها.

وفيما يلي نوضح كل ركن من هذه الأركان باختصار :

أ ـــ الندم

ويقصد به أن يندم المسلم على ما حصل منه من المعصية ويتمنَّى أنه لم يفعلها لما فيها من المخالفة لله الخالق المطلع على كل شيء في الكون.

وأما مَنْ كان يتذكَّر المعصية ويتلذَّذ بذكراها أو بالحديث عنها فهذا ليس بنادمٍ وليس بتائبٍ.

ب ـــ العزم على عدم الرجوع

ويقصد به العزم الصادق الأكيد من الإنسان الذي فعل المعصية وأراد أن يتوب أن لا يرجع الى هذه المعصية أبداً في المستقبل.

وأما مَنْ زعم التوبة وهو ينوي الرجوعَ الى المعصيةِ ولو بعد فترة فإنه ليس بتائب ـــ وإنَّ الذي يصرُّ على المعصية والرجوع إليها ويدَّعي التوبة كالمستهزئ بربِّه كما ورد.

ج ـــ الإقلاع عن المعصية في الحال

فكل مَنْ أراد التوبة وكان متلبّساً بالمعصية فعليه أن يترك المعصية في الحال فوراً. فمثلاً إذا كان يشرب في الخمر فإنه يجيف الإناء عن فيه.

د ـــ رد المظالم الى أهلها

وهذا الركن يتعلَّق فيما إذا كانت المعصية بين الإنسان وغيره من البشر. فإنه حين يتوب يجب عليه أن يرد جميع الحقوق إلى أهلها وأصحابها إن كانت اموالاً. وأما إن كانت أقوالاً كالغيبة فليتحلَّلْ من صاحبها أي يطلب منه العفو والسماح إنْ أمكن ذلك، وإنْ تعذَّر

كموت الشخص الذي اغتابه فليستَغْفِرْ له وَلْيَتَصَدَّقْ عنه وإن الله قادرٌ على إرضاء الخصماء.

وينبغي للمسلم أن يجدِّد التوبة من الذنب كلما وقع فيه ولا ييأس من رحمة الله وعفوه فإن باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها.

قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا عِبادِيَ الَّذيْن أسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنوب جَمِيْعاً إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم** ﴾[1].

تنبيهات هامة

١ ــ ليكن المسلم على علمٍ بأن التوبة من كل ذنب فعله أو كان لا يزال متلبساً به **واجبة** عليه فوراً، وكلما أخر التوبة يكون ذلك ذنباً جديداً.

٢ ــ « الذنوب الكبائر » هي التي ورد فيها إيجاب الحد كالزنا، أو ورد فيها وعيد بالعذاب بالنار ونحوها، أو ورد وصف فاعلها بالفسق بالنص القرآني، ومن السنة، أو ورد اللعن لفاعلها كالسرقة.

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٣.

« والذنوب الصغائر » فهي ما لم تكن في المذكور أعلاه.

واعلم أيها المسلم أن المعصية الصغيرة قد تنقلب الى كبيرة بالإصرار عليها والتهاون والفرح والافتخار بها.

٧ ــ الشكر

ويقصد به أن يصرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من عقل وسمع وبصر ولسان ... اخل في طاعة الله تعالى وما خلق لأجله. فقد قال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِنْ رِزْقٍ ومَآ أُرِيْدُ أَنْ يُطعِمُونِ** ﴾[1].

قال الشيخ الدردير رحمه الله في « الخريدة » في شأن الشكر ما نصه :

« فهو يرجع الى اعتقادٍ بالجنان وخدمةٍ بالأركان ونطقٍ باللسان، بأن يعتقد أن لا نعمة إلَّا منه تعالى وينطق بلسانه بأنه لا إله إلا هو، وبغيره من الأذكار ويعمل بجوارحه كل ما طلبت منه من المأمورات،

(١) سورة الذاريات الآيتان ٥٦ و ٥٧.

واجبة كانت أو مندوبة، ومن النعم التي يجب الشكر عليها التوفيق للتوبة والشكر على الشكر، والشكر لا نهاية له ولذا قال عليه الصلاة والسلام : « سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ». والشكر بهذا الاعتبار عزيز جداً لأنه طريق الصديقين ولذا قال تعالى : ﴿ **وقليلٌ مِنْ عِبَادي الشكورُ** ﴾[1]

(أهـ. من الخريدة)

وجاء في الحديث : عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقومُ مِن اللَّيلِ حَتَّى تتفطَّر[2] قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ : ـــ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ الله وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟

قَالَ : ـــ « أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً »

(رواه البخاري ومسلم)

٨ ـــ الصبر

ويُعرَّف الصبرُ بأنه حبس النفس على ما أصابها ممَّا لا يلائمها رضا بتقدير الملك المختار من غير انزعاج.

---

(١) سورة سبأ الآية ١٣

(٢) تتفطر : تتشقق

فالمسلم يجب عليه أن يؤمن بأن ما يجري في هذا الكون هو بقضاء الله وقدره، فما عليه حينئذ إلّا التسليم لله لأنه الفاعل المختار، ويصبر على كل حال تمرُّ به.

وللصبر ثلاث مراتب وهي :

الأولى : الصبر عن المعصية.

الثانية : الصبر على الطاعات.

الثالثة : الصبر على البلاء.

وفيما يلي نوضح هذه المراتب باختصار.

الأولى : الصبر على المعصية

ويقصد به الصبر عن الشهوات المحرَّمة بعدم فعلها أصلاً. ومن جملة حديث ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ :

« مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ ما استطعْتُمْ »

(رواه البخاري ومسلم)

فالنبي ﷺ في الحديث أعلاه قال في شأن المنهيّات « فاجتنبوه » أي تباعدوا عنها واتركوها حتما.

وأما في شأن المأمورات فقال : « فأتوا منه ما استطعتم » أي يأتي المسلم بما قدر عليه وجوباً في الواجب وندبا في المندوب.

قال الله تعالى :

﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وسْعَها** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا جعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[2].

وهذه المرتبة أي مرتبة الصبر عن الشهوات المحرمة هي أعلى مراتب الصبر الثلاث.

وفي الحديث : « حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ وحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »

(رواه مسلم وأحمد في مسنده)

الثانية : الصبر على الطاعات

ويقصد به دوام فعل الطاعات على حسب الطاقة.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦

(٢) سورة الحج الآية ٧٨.

الثالثة : الصبر على البلاء

ومن المعلوم أن دار الدنيا دار ابتلاء وفتن ولا تنتهي فتنتها من الإنسان إلّا بالموت.

فصاحب المال مفتون بماله أي مختبر وممتحن : هل يصرفه فيما يعود عليه بالثواب من أوجه الخير المختلفة، أو ينفقه فيما يعود عليه بالضرر ؟ والفقير مفتون بفقره : هل يصبر عليه ويرضى بما قسم الله له، أم يجزع ويسخط ؟ وصاحب الصحة مفتون بعافيته وصاحب العلم مفتون بعلمه ... الخ.

قال الله تعالى: ﴿ **الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءامَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُم لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُون، وكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً** ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنْ الخوفِ والجُوع وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَال والأَنْفُسِ والثَّمَرَات وَبشِّرِ الصَّابِرِيْنَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالوا إِنَّا**

(١) سورة العنكبوت الآيات ١ ــ ٣.

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٠

لله وإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ وأُولَٓئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ ﴾.[1]

وأودُّ أن أنبِّه القارئ الكريم إلى ثلاثة أمورٍ قد يغفل عنها كثير من الناس:

الأمر الأول : أن الصبر ينبغي أن يكون عند الصدمة الأولى أي حين يعلم الإنسان بالمصيبة التي حلَّت به. وأما مَنْ يجزع ويسخط عند الصدمة الأولى ثم بعد ذلك، وبعد مرور زمان، يدَّعي أنه صابر، فهذا ليس بصابر لأن من عادة الإنسان أن ينسى وتقلَّ آلام المصيبة عنده كلما مرّ عليها زمان.

وفي الحديث : عن أنس رضي الله عنه قال : مرَّ النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر،

فقال : « اتَّقي الله واصبري »

فقالت : إليْكَ عَنِي فإنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصيبتي، « ولم تَعْرِفْهُ ».

فقيل لها : إنَّهُ النبيُّ ﷺ.

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٥٥ ــ ١٥٧.

فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين؛

فقالت : لَمْ أعرفْكَ.

فقالَ : « إنَّما الصَّبْرُ عِند الصَّدمة الأُولى »

(رواه البخاري ومسلم)

الأمر الثاني : أن يقول المسلم المصاب « إنَّا لله وَإنَّا إلَيْه راجعون » ويكثر من هذه الجملة كلما تذكر مصيبته ليعظم أجره عند الله. ففي الحديث :

عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أُصيب بمصيبة فذكر مصيبته فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب ».

(رواه ابن ماجه)

الأمر الثالث : أن مَنْ أُصيب بمصيبة فدمعت عيناه وحزن قلبه لا شيء عليه ولا ينافي ذلك الصبر. وإنما الأمر الذي منعه الشرع ووضع أن العقاب والعذاب يترتب عليه، هو الجزع وإظهار السخط والتكلم بالألفاظ البذيئة.

وإن استطاع المسلم أن يمسك دمع عينيه فذلك أفضل وأولى وأجمل. وما يأتي في الحديث التالي من

نزول الدمع من عين قدوتنا وحبيبنا وقرّة أعيننا سيدنا محمد ﷺ حين المصيبة فإن ذلك للتشريع ولبيان الجواز للأمة المحمدية. وإن النبي ﷺ قد يفعل خلاف الأولى كما هنا للتشريع والتوضيح ويثاب ويؤجر على ذلك.

وفي الحديث : عن أبي زيد أسامة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ قال : أرسلت بنتُ النبي ﷺ :

« إنَّ ابني قَدْ احتُضِرَ فاشْهَدْنَا ».

فَأَرْسَلَ يُقرِئ السَّلامَ ويَقُولُ :

« إنَّ لله ما أعْطَى وَكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بأَجَلٍ مُسَمَّى فَلْتَصْبِرْ ولْتَحْتَسِبْ » فَأَرسَلَتْ إلَيْه تُقسِمُ عَلَيْهِ لَيأتِيَنَّها. فَقَامَ ومَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَل، وأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، ورجالٌ رَضِيَ الله عَنْهُم. فَرُفِعَ إلَى رَسُولِ الله ﷺ الصَّبِيُّ فَأَقْعَدَهُ في حجر ونَفسُهُ تَقَعْقَعُ[1]، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سَعْدٌ : ـــ يَا رسُولَ الله مَا هَذَا ؟

فَقَالَ : ـــ « هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا الله تَعَالى في قُلوبِ عباده » (رواه البخاري ومسلم)

---

(١) تتحرك وتضطرب.

٩ ــ الفكر

وإن التفكر في المخلوقات المختلفة وصنعتها العظيمة التي تدلُّ على وجود صانع عظيم قدير من أعظم أنواع العبادة، وقد حث عليها القرآن في الكثير من الآيات.

فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ **إنَّ في خَلْقِ السَّموات والأَرْضِ واختلاف اللَّيلِ والنَّهَارِ لآياتٍ لأُولي الألبابِ * الَّذين يذْكُرُون الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِم ويتفكَّرونَ فِي خَلقِ السَّمواتِ والأرضِ رَبَّنَا ما خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[1].

وكلمة أُولي الألباب معناها : أصحاب العقول النيرة وقد ورد وعيد شديد لمن مرّ بهذه الآية ولم يتفكَّر فيها. قال ﷺ : « وَيْلٌ لِمَنْ قَرأَهَا وَلَم يفكر فيها »

(رواه ابن حبان)

وفي آية أخرى نبَّه الله العبدَ إلى التفكر في نفسه وصنعته البديعة من أعضاء جسده الظاهرة من يد ورجل ... الخ وما تقوم به من دور هام. وهناك أجزاء جسده الباطنة كالقلب والإمعاء والرئتين التي تؤدي

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٩٠ و ١٩١.

وظائف هامة من غير حول من الإنسان ولا قوة. قال تعالى :

﴿ وَفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرون ﴾[1]

جاء في الحديث : قال ﷺ : « لا عبادة كالتفكّر »

(أخرجه ابن حبان)

١٠ ـ الشيخ العارف العالم

سبق أن ذكرنا أهمية العالم العارف لكلِّ من أراد أن يتَّصل بعلمٍ من العلوم لا سيما العلوم الشرعية والتي يسعد المسلم بتعلُّمها في حياته الدنيا وفي الآخرة، لأنها بها تصحُّ عبادته، وبها ينال القرب من ربه.

كما ذكرنا أن العلم يؤخذ من أفواه العلماء، لأنَّ العلم في الصدور وليس في السطور.

قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾[2].

(١) سورة الذاريات الآية ٢١.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٩

بعض أمراض القلوب وعلاجها

سبق أن ذكرنا أن التصوُّف هو صفاء القلب من الكدرات والشهوات. وفيما يلي سنذكر بعض أمراض القلوب التي يصدأ القلب بسببها ويقل نوره، فمنها :

١ ــ الغضب المذموم.

٢ ــ الحقد.

٣ ــ الحسد المذموم.

٤ ــ العجب.

٥ ــ الكبر.

٦ ــ الرياء.

٧ ــ سوء الظن.

٨ ــ الغرور.

والآن لنذكر لك أيها القارئ الكريم نبذة مختصرة في تعريف كل مرض من الأمراض أعلاه وكيفية علاجه.

١ ــ الغضب المذموم

تعريفه

هو ثوران دم القلب وغليانه عند توجُّه مكروه الى الشخص. أو : هو تغيُّر يتبعه غليان دم القلب لإرادة الانتقام.

والغضب المذموم شرعاً هو الذي يدفع صاحبه الى واحد من الأمور التالية أو كلها وهي :

١ ــ الكلام الفاحش.

٢ ــ الفعل المسيء.

٣ ــ إضمار الحقد والحسد.

ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ : أَوْصِنِي .

قال : لَا تَغْضَبْ.

فردَّدَ مِراراً.

قال : لَا تَغْضَبْ ».

(رواه البخاري)

وعنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضب »

(رواه البخاري ومسلم)

علاج الغضب المذموم

وللغضب المذموم نوعان من العلاج أحدهما مانع والآخر رافع.

أ ــ الدواء المانع

ونقصد به الدواء الذي يمنع حصول الغضب ووقوعه وهو :

١ ــ تعلُّم العلم الشرعي.
٢ ــ تجنُّب الأسباب التي تؤدي للغضب.
٣ ــ أن يتذكَّر الإنسان نتائج الغضب الوخيمة وعواقبه الأليمة.
٤ ــ أن يتذكَّر الإنسان الفوائد الجليلة التي تعود عليه من تَرْكِ الغضب.

ب ــ الدواء الرافع

وإذا حدث أن غضب الإنسان فإنَّ الدواء الذي يرفع عنه هذا الغضب يتلخصَّ فيما يلي:

١ ــ أن يتذكَّر ايضاً نتائج الغضب وفوائد الإقلاع عنه.
٢ ــ أن يستعيذ الغضبان بالله من الشيطان.

٣ ــ أن ينتقل الغضبان من الموضع الذي هو به الى موضع آخر.

٤ ــ أن يغيِّر الغضبان هيئته فإذا كان واقفاً جلس وإذا كان جالساً رقد.

٥ ــ أن يتوضَّأ الغضبان.

٦ ــ أن يتذكَّر الغضبان أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأنَّ لا فاعل حقيقة في الكون إلا الله ويرضى ويسلم الأمر لله.

٧ ــ أن يتذكَّر الغضبان قبح صورته حين يغضب بحيث لو نظر في المرآة لأنكر صورته.

تنبيه :

ما ذكرناه عن الغضب المذموم يشير إلى أنّ هنالك غضباً محموداً وهذه حقيقة. فهناك غضب محمود شرعاً وهو الغضب الذي يكون إذا انتهكت حرمات الله. وقد كان النبي ﷺ يغضب إذا انتهكت حرمات الله[1].

---

(١) يمكن للقارىء الكريم الرجوع الى كتابي « أمراض القلوب وعلاجها » حيث يجدُ تفصيلاً وافياً لأمراض القلوب وطرق علاجها.

٢ ـــ الحقد

تعريفه

ويعرَّف الحقد بأنه انطواء القلب على العداوة والبغضاء. والحقد ثمرة الغضب.

قال الشاعر :

إنَّ العـــدو وإن تقـــادم عهـــده

فالحقدُ باقٍ في الصدورِ مغيبُ

وقد بشر النبي ﷺ برجل من أهل الجنة. فلما سئل هذا الرجل عن عمله الصالح قال :

« آخُذُ مَضْجَعِي، وَلَيْسَ فِي قَلْبِي غِمْرٌ عَلَى أحَد ». أي ليس في قلبه حقد لأحد.

(رواه البيهقي)

علاج الحقد

أ ـــ أن يدرك المؤمن أن الحقد ليس من صفات المؤمن الكامل وقد ورد « المؤمن ليس بحقود ».

ب ـــ بمراقبة الله تعالى ففي الآية ﴿ **إنَّ ربَّكَ لَبِالمِرْصَادِ** ﴾[١].

---

(١) سورة الفجر الآية ١٤.

ج ــ بالعفو ــ قال تعالى ﴿ **وأَنْ تَعْفُوا أقْرَبُ للتَّقوى** ﴾[1].

٣ ــ الحسد المذموم

تعريف الحسد المذموم

هو تمنِّي زوال نعمة الغير، سواء تمنَّى انتقالها إليه أم لا.

الحسد من أمراض القلوب الضارة في الدين والدنيا. فالحاسد عند ربه ممقوت وعند الناس مبغوض.

قال ﷺ : « إيَّاكُمْ والحَسَدَ فَإِنَّ الحَسدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ أو قال : العشب »

(رواه أبو داود)

ومن الناس مَنْ يحسد غيره من على البعد، فإن أصاب المحسود بلاء أو مصائب فرح الحاسد وهو في مكانه، ويفوق هذا النوع من الحساد الحاسد الذي يسعى في تحقيق حسده. فمثلاً، إذا حسد شخصاً على نعمة ما

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

فإنه لا يكتفي بتمنّي زوالها منه بل يسعى سعياً حثيثاً في إزالتها منه بأيّ وجه من الوجوه.

قال تعالى في شأن الاستعاذة والتحصن من الحاسد: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[1].

علاج الحسد

أولاً: العلم بأنَّ النعم من الله.

ثانياً: العلم بمضارّ الحسد.

ثالثاً: عدم العمل بمقتضى الحسد.

النِّعَمُ من الله

فعلى الحاسد أن يعلم أن ما بنا من نِعَمٍ فمن الله، والله هو المعطي وهو القاسم والفاعل. قال الشاعر:

قدر الله كائن حين يقضي وروده
قد مضى فيك علمه وانتهى ما يريده
وأخو الحزم حزمُهُ ليس مما يزيده
فأرد ما يكون إن لم يكن ما تريده

والمؤمن لا يعترض على قضاء الله وقدره في اعطائه النعم لزيد أو لعمر.

(١) سورة الفلق الآية ٥.

العلم بمضار الحسد

وللحسد مضار تصيب الحاسد ينبغي عليه أن يعلمها. فمنها عذابه النفسيّ وتألُّمه الدائم في الدنيا، ومنها العذاب الذي سيلقاه في الآخرة إن لم يتب ويتغمده ربه برحمته ومنها تثقيل ميزان المحسود.

عدم العمل بمقتضى الحسد

وإنَّ من أنواع العلاج للحسد هي عدم العمل بمقتضى الحسد. وكلُّ مَنْ شعر في نفسه بحسد نحو الغير، أي تمنى زوال نعمته، فليبادِرْ بالدعاء له أن يحفظ الله عليه نعمتَهُ، وأن يحرص في المحافظة على نعمة الغير هذه بأيِّ وجهٍ من الوجوه المشروعة إن قدر على ذلك.

تنبيه

هنالك نوع من الحسد محمود شرعاً ويسمى « الغبطة » وهو أن يرى المسلم عند غيره من المسلمين نعمة ليست عنده، ويسعى بها في طلب رضاء الله، فيتمنَّى الخير أي يتمنَّى أن تكون له مثل هذه النعمة ليكون فاعل خير مثله من غير تمنِّي زوالها منه. فهذا حسد محمود ويؤجر ويثاب فاعله عند الله.

ومثال ذلك مَنْ رأى شخصاً عنده أموال كثيرة جمعها بطريق حلال، ورآه ينفق من هذه الأموال على الفقراء والمساكين، ويبني منها المساجد، فقال : اللهم احفظ على فلان نعمته وأعطني مثله أموالاً من طريق حلال لأتصدق وأفعل الخير.

وفي الحديث : قال رسول الله ﷺ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ[1] النَّهَارِ »

(رواه البخاري ومسلم)

---

(١) آناء : ساعات

٤ ــ العجب

تعريفه

هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها للمنعم. أو : هو استعظام العمل مع اعتقاد العبد أنه قَدْ سَعِدَ وقَد ظفر بمراده فلا يسعى.

العجب من أمراض القلوب المذمومة شرعاً. وهو خلق في النفس فلو لم يخلق الإنسان إلَّا وحده، تصوَّر أن يكون معجباً بنفسه، أي يفخر بها ويسعى بكمالها.

وفي الحديث : قال ﷺ : « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَشيْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ : العُجْبَ ».

(رواه البزار بإسناد جيد)

علاج العجب

ويكون بالآتي :

١ ــ معرفة المنعم :

أي يعرف العبد أن ما به من خير وإقبال على الطاعة مثلاً هو بتوفيق الله تعالى. فقد جاء في قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾[1]. فحينئذ يزول العجب ويقبل العبد على شكر المنعم.

٢ ـ مقابلة العلة بضدها

أسباب العجب كثيرة فمنها العجب بالصحة في البدن أو بالقوة أو بالعقل وسعة الفكر أو بالنسبة.

فالمعجب بصحته وقوته ينبغي عليه أن يتذكَّر أنَّ أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة، وبين هذا وذاك يحمل بين جنبيه العذرة، وأنَّ أدنى نوعٍ من أنواع المرض يصيبه يجعله ضعيفاً.

والمعجب بعقله وسعة تفكيره عليه أن يعلم أنه لم يؤت من العلم إلا قليلاً. فكم هناك من العلوم التي لا يعرف فيها شيئاً وأن الله قادر على سلبه العقل فيصير مجنوناً.

والمعجب بنسبه عليه أن يعلم أن أكرم عباد الله هو أتقاهم.

وهكذا كل من يعجب بخصلة عليه أن يقابلها بضدها ليزول عنه العجب.

---

(١) سورة هود الآية ٨٨.

٣ ـ مجالسة الصديق الصالح

وممَّا يذهب العجب، اختيار الصديق الصالح الذي يذكر الإنسان بالله حاله ويدله عليه مقاله، ولا يجالس أصدقاء السوء الذين يتملقون ويصفون الإنسان بما ليس فيه ممَّا يجعله يعجب بنفسه.

٥ ـ الكبر

تعريفه

الكبر هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير أو : هو استحقار الغير وازدراؤه واستصغاره.

والكبر مرض قلبي واذا استفحل ظهر في تصرُّفات الإنسان وأقواله.

وفي الحديث : قال ﷺ : « لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ.

فقال رَجُلٌ : ـ إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يكُونَ ثَوبُهُ حَسَناً، ونَعْلُهُ حَسَنَةً ؟

قَالَ : ــ « إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ[1] يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النَّاسِ ».

(رواه مسلم والترمذي)

ومعنى بطر الحق : أي رد الحق ودفعه وعدم قبوله.

وغمط الناس : أي احتقار الناس وازدراؤهم.

علاج الكبر

أ ــ **معرفة الرب** : فيدرس المسلم علم التوحيد والذي يفيده بأن العظمة والكبرياء قد انفرد بهما الله تعالى وفي الحديث : « العِزُّ إزارِي، والكِبرياء رِدائي، فَمنْ نَازَعَني فِي واحِدٍ مِنْهُما عَذَّبْتُهُ »

(رواه مسلم)

ب ــ **معرفة النفس** : قال تعالى : ﴿ **قُتِلَ الإِنسان مآ أَكْفَرَهُ، مِنْ أيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَة خَلَقَهُ فقَدَّرَهُ، ثُمَّ السَّبيلَ يَسَّرَهُ، ثُمَّ أمَاتَهُ فَأقْبَرَهُ، ثُمَّ إذَا شَاءَ أنْشَرَهُ** ﴾[2].

(١) جميل : متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص.

(٢) سورة عبس الآيات ١٧ ــ ٢٢.

ففي الآية توضيح لأحوال الإنسان الضعيف الثلاث :

الأولى : المبدأ من عدم « من نطفة خلقه فقدره »

الثانية: وسط أمره « ثم السبيل يسَّره »

الثالثة: آخر أمره « ثم أماته فأقبره ».

وفي الأحوال الثلاث لا حول ولا قوة للإنسان إلّا بالله.

ج ـــ **التواضع** : ومن تواضع لله رفعه.

٦ ـــ الرياء

تعريفه :

الرياء هو طلب الجاه والمنزلة بالعبادات. أو : هو طلب المنزلة في قلوب الناس بآرائهم خصال الخير.

فالمرائي يعمل العمل الصالح ولا يقصد بقلبه وجه الله بل يقصد الناس.

قال النبي ﷺ :

« أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.

فقيل : وما هو يا رسول الله.

قال : الرياء. يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم :

« اذهبوا الى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ».

(رواه أحمد والبيهقي والطبراني)

علاج الرياء

١ ــ أن يتذكر الإنسان أن الرياء محبط للعمل فلا ثواب له.

٢ ــ أن يرجو المسلم ما عند الله بعمله ولا يرجو ما عند الناس، فمقاليد الأمور بيد الله لا بيد الناس.

٧ ــ سوء الظن

تعريفه :

سوء الظن هو عقد القلب وحكمه على غيره ظنا بأمر سيِّئ.

سوء الظن أو الغيبة بالقلب من الأمراض المحرمة في الشرع قال تعالى : ﴿ **يآ أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً من الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ** ﴾[1].

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٢.

وسوء الظن يأتي مِمَّنْ خَبُث باطنُهُ. قال الشاعر :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ المَرءِ سَآءَت ظُنُونُه
وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّم

تنبيه هام :

ليس من سوء الظن التمسُّك بالآداب والأحكام الشرعية. فمثلاً مَنْ يأمر زوجته أو بنته عند الخروج بلبس الملابس السابغة والاحتشام وعدم التعطُّر وعدم إظهار الزينة، لا يعتبر سيِّئ الظن بل هذا أمر مطلوب شرعاً؛ فإن تركه مع علمه صار ديوثاً، والديوث هو الذي يقرّ الخبث في أهله. وفي الحديث : « ثلاثة حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يقر الخبث في أهله. »

علاج سوء الظن

عدم التحقيق: ومعنى ذلك أنَّ مَنْ ظنَّ بغيره سوءاً فلا يحقق ظنه أي لا يجعله حقيقة ويتصرف مع مَنْ ظنَّ به السوء بمقتضى ظنه فيعامله معاملة سيئة مثلاً، بل الواجب على مَنْ ظنَّ بغيره سوءاً أن يحسن معاملة مَنْ ظنَّ به ويكرمه أي يفعل عكس ما في ظنه.

٢ ــ **مراقبة الله** : على الظان أن يعلم بأن الله مُطَّلِعٌ على كل شيء.

٨ ــ الغرور

تعريفه :

الغرور هو سكون النفس وميل القلب إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان.

فالغرور معناه أن يعتقد الإنسان أنه على خير في العاجل أو الآجل عن شبهة فاسدة. ومن أمثلته غرور الكفار الذين يُصِرُّون على كفرهم ويستندون على عقائد فاسدة وشبه واهية. قال تعالى : ﴿ **ولكنّكم فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُم وارتَبْتُم وغَرَّتْكُم الأماني** ﴾[١].

ومن أمثلته غرور العصاة من المسلمين فترى أحدهم منهمكاً في المعصية ويقول : الله كريم، فلا يتوب من ذنبه بل هو مصرٌّ عليه ويهمل العمل الصالح. فمثل هذا الصنف من الناس مغرور. ولتوضيح غروره فَلْنَقْرَأ الحديث النبوي التالي :

---

(١) سورة الحديد الآية ١٤.

قال ﷺ : « الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الموت والأحمق مَنْ أَتْبَعَ نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ».

(رواه الترمذي)

ومن أمثلته : غرور أبناء العلماء والمشائخ الذين كان آباؤهم على تقوى وصلاح وخوف من الله، فيظنُّ أحدهم أنه سينجو بتقوى أبيه وينهمك هو في معصية الله.

وهكذا نجد أن أمثلة الغرور كثيرة؛ فهناك غرور العلماء، وغرور الأغنياء، وغرور أهل العبادة ... الخ الخ.

علاج الغرور

وعلاج الغرور يكون بتعلُّم العلم الشرعي ليكون العبد على معرفة بالله وبالنفس وبالدنيا وبالآخرة.

* فبالمعرفة لله يزداد العبد حبّاً لله.

* وبالمعرفة للنفس يزداد العبد تواضعاً وخشية لله.

* وبالمعرفة للدنيا يزداد العبد زهداً فيها ويجعلها مطية للآخرة.

* وبالمعرفة للآخرة يزداد العبد رغبة فيها ولما أعده الله للمتقين.

بعض قضايا التصوُّف

وإننا الآن بصدد التعرُّض لبعض قضايا أو مسائل علم التصوُّف الذي يهتم بتصفية القلب من كدراته وشهواته فمن هذه القضايا :

١ ــ المشاهدة والمراقبة.
٢ ــ الخوف والرجاء.
٣ ــ الفناء.

١ ــ المشاهدة والمراقبة

وقد تقدَّم الكلام عليهما، وأنهما مقام الإحسان الذي أشار به النبي ﷺ لسيدنا جبريل حين سأله بقوله : فأخْبِرنِي عَنْ الإحسان ؟

قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ الله كأنَّكَ تراهُ فَإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإنَّهُ يَراكَ.

وقد كتب الشيخ الجرداني رحمه الله في شأن مقام الإحسان من المشاهدة والمراقبة المذكور في الحديث أعلاه ما نصه :

« وقد ذكر العلماء أن للعبد في عبادته ثلاثة مقامات :

الأول : أن يفعلها على الوجه الذي يسقط عنه الطلب بأن تكون مستوفية للشروط والأركان.

الثاني : أن يفعلها كذلك وقد استغرق في بحر المكاشفة حتى كأنه يرى الله تعالى وهذا مقام **المشاهدة**.

الثالث : أن يفعلها كذلك وقد غلب عليه أن الله تعالى يشاهده وهذا مقام **المراقبة**.

وكل المقامات الثلاثة احسان[1] إلا أن الإحسان المشروط في صحة العبادة إنما هو الأول وأما الإحسان بالمعنيين الأخيرين فهو من صفة الخواص ومتعذر من كثيرين ». أهـ.

---

(١) الإحسان : الإتقان

قال الشاعر رحمه الله تعالى مرغباً في إحسان العبادة وإتقانها :

إنْ رُمْتَ تَدْنُو مِن المَعَالِي   وتَرْتَقِي أَحْسَنَ المَسَالِك
وتُحْظَى بِالقُربِ والتَّدَانِي   وتَنْجُو أيْضاً مِن المَهالِك
وعَنْكَ حُجْبُ البُعَاد تُجْلَى(١)   وتُجْرِي ماشِئْتَ في الممالك
ويتجلّى عَنْكَ كلُّ غَيم   وتَنْمَحِي ظُلْمَةُ الحَوَالِك(٢)
فَفَرِّغِ القَلْبَ مِنْ سِوَاهُ   وَرَاقِبِ اللهَ فِي فِعَالِك

٢ ــ الخوف والرجاء

الخوف هو : همٌّ وقلق لما هو آت. وأما الرجاء فهو : تعلُّق القلب بمرغوب يحصل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب.

وإن المقصود بالخوف والرجاء هنا، أي في قضايا التصوف، هو الخوف من الله تعالى والرجاء في رحمة الله وعفوه.

والعبد الذي يريد السير في الطريق المستقيم الموصل الى الله تعالى، أي الذي يريد أن يتعلَّق قلبه بالله تعالى مع

---

(١) تجلَّى : تكشف.

(٢) الحوالك : السواد.

مخالفة نفسه في شهواتها، لا بُدَّ له من الجمع بين الخوف والرجاء؛ لأن الخوف يكون له بمثابة السوط الرادع الذي يردعه عن الانهماك في الشهوات. وأما الرجاء فيجعله لا يقنط من رحمة ربه وعظيم عفوه.

وينبغي للعبد في حال صحته وقوته أن يُغَلّب جانب الخوف على جانب الرجاء لأن ذلك يدفعه الى المضي قُدُمَا والسير بخطى حثيثة في الطريق المستقيم.

وأما في حال المرض وضعف الأعضاء فيغلّب جانب الرجاء على جانب الخوف، ويستحضر رحمة ربه التي وسعت كل شيء ولا سيما إذا بدت له مقدمات الاحتضار؛ فحينئذ يعقد قلبه بأنه قادم على رب كريم يغفر الذنوب جميعاً ويأتيه بقراب الأرض مغفرة، أي بملئها عفواً، إن لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً.

وإن التالي لكتاب الله تعالى والقارئ لسُنَّةِ النبي ﷺ ليجد الكثير من النصوص التي فيها إشارة للخوف والرجاء. وفيما يلي نورد بعضاً منها :

في الخوف :

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيد** ﴾[1].

(١) سورة البروج الآية ١٢.

وقال تعالى : ﴿ **ويُحَذِّرُكُم الله نَفْسَهُ** ﴾[1].

وفي السُنَّة : عَن النعمان بن بَشِير رَضِي الله عَنْهُما قَال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوضَعُ فِي أَخْمُصِ[2] قَدَمَيْهِ جَمْرَتَان يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ مَا يَرى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً وانَّه لَأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً ».

(رواه البخاري ومسلم)

في الرجاء

قال الله تعالى : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شي** ﴾[3].

وفي السنة : عَنْ أَنسٍ رَضِي الله عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : قال الله تعالى :

« يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّك مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي،

يا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُك عَنَانَ[4] السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غفَرْتُ لَكَ،

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٨.

(٢) أخمص قدميه : هو المتجافي من الرِّجل عن الأرض.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٦.

(٤) عنان السماء : أي ما ظهر من السماء أو هو السحاب.

يا ابْنَ آدَمَ إنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأَرض[1] خَطَايا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لَا تُشرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرةً »

(رواه الترمذي وقال : حديث حسن)

وَعَنْ جَابر بْن عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أيَام يَقُولُ :

« لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُم إلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله عز وجل »

(رواه مسلم)

وإنّ ما ورد عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى عن قرب موته وفي حال مرضه من كلمات قالها وأبيات تمثَّل بها لتوضح لنا بسهولة ويسر الخوف والرجاء. فقد جعل رحمه الله تعالى الخوف والرجاء عنده كجناحي طائر. فقد رُوي :

« قال الإمام الشافعي رحمه الله في مرض موته لما سأله ابن مسكين : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال الشافعي : أصبحتُ من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقا، ولكأس المنية شاربا، ولا أدري الى الجنة تصير روحي فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها.

---

(١) قراب الأرض : ما يقارب مِلأها.

ثم قال :

ولمـا قسا قلبـي وضاقت مذاهبـي
جعلتُ رجائي نحو عفـوك سلمـا
تعاظمنـــي ذنبـــي فلمـــا قرنتـــه
بعفـوك ربـي كان عفـوك أعظمـا

٣ ــ الفناء

وإن من قضايا ومسائل علم التصوف، الفناء. وقد كتب في شأنه الشيخ الدردير رحمه الله في كتابه « الخريدة البهية » في علم التوحيد ما نصه :

« الفناء هو زوال صفات النفس المذمومة بالكلية حتى لا تصير ملتفتة الى شيء منها بل تزهدها كما تزهد أكل الجيفة مثلاً.

وصفتها المذمومة هي : الحسد والحقد وحب الجاه والصيت والمحمدة والرياسة والشهوات والكبر والرياء والعجب والنفاق والغرور وبغض أحد من الخلق لغير غرض شرعي ونحو ذلك.

فإذا زالت عنـه هذه الأوصاف القبيحـــة اتصف بأضدادها من الصفات الحميدة كالشفقة والرأفة على

الخلق حتى يحبَّ لغيره ما يحبُّ لنفسه، والإخلاص وحسن الخلق والسخاء والمسكنة التي طلبها النبي ﷺ بقوله : « اللَّهُمَّ أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين » وهذه المسكنة هي خضوع النفس لمقام الألوهية وخفض الجناح للبرية حتّى لا يَشَمَّ صاحبها للرياسة رائحة، وصاحبها هو العبد الحقيقي الصديق فمَنْ لم يتَّصِفْ بها لم تخلُ نفسه من منازعة الحق تعالى في أخص أوصافه لأن الرياسة إنما تكون للفاعل المختار الغني على الإطلاق، وهي لا تفارق الإنسان إلَّا بعد المجاهدة الكبرى فعرقها لا ينقطع عن أحد إلّا مَنْ خصَّه الله بالعبودية المحضة. ولذا قالوا آخر ما يخرج من قلب الصديقين حب الرياسة ».

انتهى من الخريدة البهية.

ذكر الله

تقدَّم أن ذكرنا أنَّ مداومة الذكر من أركان طريق التصوف. وإن علماء التصوف يهتمون بهذا الركن اهتماماً كبيراً ويعتبرونه أعظم أركان طريق التصوف. وما جاء هذا الاهتمام عبثاً بل جاء عن علم وفَهْمٍ ودراية. فالتالي لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ يجد فيهما الكثير من النصوص التي تحثُّ وتحضُّ على الإكثار من الذكر ومداومته.

قال الله تعالى: ﴿ **والذَّاكِرينَ الله كَثِيْراً والذَّاكِراتِ أَعَدَّ الله لَهُمْ مَغْفِرةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾[1].

فالذكر ينوِّر القلب ويورثه الاطمئنان. وتقدم أن ذكرنا أن القلب مَلِكُ مملكةِ البدن، وأنه إذا صُلح الملك

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٥.

صلحت الرعية. ومن المعلوم أنه ما من أحد على وجه البسيطة إلَّا وهو ينشد الاطمئنان، وهو أمر صعب ولا يفوز به إلَّا الذاكرون. قال الله تعالى : ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوب** ﴾[1].

وقد عبر أحد علماء التصوُّف[2] عن هذا الاطمئنان واللذة والمتعة والراحة النفسية التي اكتسبها من كثرة الذكر ومداومته آناء الليل وأطراف النهار، بقوله : « إِنَّا لَفِي لَذَّةٍ لَوْ عَلِمَهَا المُلوكُ لجالدُونَا عَلَيْهَا بالسيوف ».

ومن السُّنَّة ورد عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكم وأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيْكِكُمْ، وأَرْفَعِهَا فِي دَرجاتِكُمْ وَخَيْرٍ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهبِ والوَرِقِ، وخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضرِبُوا أَعنَاقَهُم، وَيَضْرِبُوا أَعنَاقَكُمْ ؟

قَالُوا : بَلى

قالَ : ذِكْرُ الله

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٨.

(٢) هو الشيخ ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى.

قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: مَا مِنْ شَيءٍ أنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ».

(رواه أحمد بإسناد حسن وابن ابي الدنيا والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم : صحيح الإسناد).

وإن ذكر الله باللسان يشمل :

أ ــ تلاوة القرآن.

ب ــ التهليل.

ج ــ الاستغفار.

د ــ الصلاة على النبي ﷺ.

هـ ــ التسبيح.

و ــ التحميد.

ز ــ التكبير.

ح ــ الدعاء.

تلاوة القرآن

ويقصد بذلك أن يقرأ المسلم القرآن بتدبُّر قراءة صحيحة بأن يخرج الحروف من مخارجها الصحيحة مع اعطائها حقَّها ومستحقها. وهو أمر لا بُدَّ من تعلُّمه، فالعلم بالتعلم. ومهما حاول المسلم قراءة القرآن من غير معلم فإنه لا يخلو من خطأ، ويعرِّض نفسه للإثم.

وممَّا جاء في فضل قراءة القرآن : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ قَرَأ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ألمّ حَرْفٌ، وَلَكِن أَلِفٌ حَرْفٌ، ولَامٌ حَرْفٌ، ومِيْمٌ حَرْفٌ ».

(رواه الترمذي)

التهليل

ويقصد به أن يذكر المسلم ربه بقول : « لَا إِلهَ إِلَّا الله ».

ومعناها : أنا أقر بلساني وأذعن بقلبي أنه لا معبود بحقٍّ موجود إلَّا الله. وقد حثَّ الشرع على الذكر بها في أحاديث كثيرة نذكر مثالا منها :

عن أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أُكثَروا مِنْ شهَادَة أنْ لَا إلهَ إلَّا الله قبل أن يُحَالَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهَا »

(رواه أبو يعلى بإسناد جيد)

الاستغفار

أي يقول المسلم : « أستغفر الله »

ومعناها أنه يطلب من ربه غفر ذنبه أي محوه من صحيفته، أو : ستره بعدم المؤاخذة عليه وإن كان مكتوبا في صحيفته.

وقد رغب الشرع في الإكثار من الاستغفار فقد قال رسول الله ﷺ : « مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ الله لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجا، ومِنْ كُلِّ ضِيْقٍ مخرجاً، ورزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ».

(رواه أبو داود والنسائي وقال الحاكم : صحيح الإسناد)

لطيفة

جاء في كتاب « الترغيب والترهيب » للمنذري وتعليق الشيخ مصطفى محمد عمارة ما نصه :

في صحيح البخاري : باب الاستغفار وقوله تعالى « استغفروا ربكم ». قال في الفتح : وكان المصنف لمح بذكره هذه الآية إلى أثر الحسن البصري : أَنَّ رَجُلاً شكا إليه الجدب، فقال : ـــ استغفر الله. وشكا إليه آخر الفقر، فقال : ـــ استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف

بستانه، فقال: ـــ استغفر الله، وشكا إليه آخر عدم الولد، فقال : ـــ استغفر الله. ثُم تلا عليهم هذه الآية :

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكم إنَّه كَانَ غَفَّاراً * يُرسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُم مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأمْوَالٍ وَبنينَ ويَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أنْهَارا ﴾[1].

الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام

والذكر بها يكون بأي صيغة من الصيغ ومثالها « اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ».

ومعناها :

اللهم صلِّ على سيدنا محمد : اللهم ارحم سيدنا محمد.

وعلى آله : أي وارحم جميع المسلمين.

وسلم: أي وأعطهم جميعاً الأمان.

قال الله تعالى آمراً عباده بالصلاة على النبي : **﴿ إنَّ اللهَ وَمَلآئِكَتَهُ يُصَلُّون عَلَى النَّبيِّ يآ أيُّهَا الَّذِين آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾**[2].

---

(١) سورة نوح، الآيات : ١٠ ـــ ١١ ـــ ١٢.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٦.

وقال ﷺ مرغبا في الذكر بالصلاة على النبي :

« مَنْ صلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خطيئاتٍ »

(رواه الحاكم)

التسبيح

وهو أن يقول الذاكر : « سُبْحَانَ اللهِ » ومعناها : اصف الله تعالى بكل كمال وأنزهه عن كل نقص.

التحميد

وهو أن يقول الذاكر : « الحمد لله » ومعناها : الثناء المنبئ عن تعظيم المنعم جل وعلا.

التكبير

وهو أن يقول الذاكر : « الله أكبر » ومعناها : أن الله هو المنفرد بالعظمة، فلا كبرياء لسواه.

ولقد رغب الشرع في التسبيح والتحميد والتكبير، فمن ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ بِهِ وهو يَغرِسُ غَرْساً،

فقال : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ما الَّذي تَغْرِسُ ؟

قُلتُ : غِرَاساً.

قال : أَلَا أَدُلُّكَ عَلى غِراسٍ خَيْرٍ مِنْ هذا ؟ سُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلّا الله، واللهُ أَكْبَرُ، تُغْرَسُ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شجرةٌ في الجنَّةِ ».

(رواه ابن ماجة باسناد حسن واللفظ له، والحاكم وقال : صحيح الإسناد).

الدعاء

وهو أن يسأل العبد ربه حاجاته كلها صغيرها وكبيرها.

ولقد رغب الشرع في الدعاء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بدعوة لَيْسَ فِيْها إِثمٌ[١]، ولا قَطِيعَةُ رَحِمٍ[٢] إِلَّا أَعْطَاهُ الله بِهَا إحدى ثلاث : إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وإمّا أَنْ يَدخرها لَهُ في الآخِرة، وإمّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِن السُّوءِ مِثلها[٣]،

---

(١) إثم : ذنب.

(٢) رحم : أقارب.

(٣) يصرف عنه المصائب.

قالوا : إذاً نُكثِر !

قَالَ : الله أكْثَرُ[1] ».

(رواه أحمد والبزار)

تنبيه

مَنْ أراد أن يتعرَّف على معلومات أكثر في الذكر فليقرأ كتابي « ذكر الله »، وفي الصلاة على النبي فليقرأ كتابي « ترغيب في الصلاة على النبي »، وفي تلاوة القرآن فليقرأ كتابي « تعليقات حسان على كتاب من فضائل القرآن » وفي الدعاء فليقرأ كتابي « الدعاء الصالح ».

الاجتماع على الذكر

وإن أهل علم التصوُّف كثيراً ما يحبُّون الاجتماع على ذكر الله وهو أمر جائز شرعاً وفيها فضل كبير. قال الله تعالى :

﴿ واصبِرْ نفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُم ﴾[2].

---

(١) اكثر إحساناً ممّا تسألون.

(٢) سورة الكهف الآية ٢٨.

وعَن أبي هريرةَ رضي الله عَنْهُ قال :

قالَ رَسُولُ الله ﷺ : إنَّ لله تَعَالَى مَلائِكَةً يَطُوفُون فِي الطُّرُق يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذكرِ ، فَإذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ،

تَنَادَوا : هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ. فَيَحُفُّونَهُم بِأجْنِحَتِهِم إلى السَّمَاء الدُّنيا فَيَسْأَلُهُم رَبُّهُم ــ وَهُوَ أَعْلَمُ : ما يَقُولُ عِبادِي ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَك،

فَيَقُولُ : هَلْ رَأونِي ؟

فَيَقُولُونَ : لَا والله مَا رَأَوْكَ.

فَيَقُولُ : كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟

قال : يَقُولونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَك عِبَادَةً، وأَشَدَّ لَك تمْجِيداً، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً.

فَيَقُولُ : فَمَاذَا يَسْأَلُونَ ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : يَسْألونَك الجَنَّةَ.

قَالَ : يَقُولُ : وَهَل رَأَوْها ؟

قَالَ : يَقُولون : لَا واللهِ يَا ربِّ ما رَأَوْهَا.

قَالَ : يَقُول : فكَيْفَ لَوْ رأوهَا ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرصاً، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً وأَعْظَمَ فِيْهَا رَغْبَةً.

قَالَ : فَمِمَّ يَتعَوَّذُونَ ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : يَتَعَوَّذُون مِن النَّار؛

قَالَ : فيقولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ : يَقُولُون : لَا واللهِ مَا رَأَوْهَا.

فَيَقُولُ : كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ : يَقُولُون : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أشَدَّ مِنْهَا فِراراً، وأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً.

قَالَ : فَيَقُولُ : فَأُشهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ.

قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِن المَلآئِكةِ ، فِيْهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ .

قَالَ : هُمُ الجُلسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيْسُهُم »

(رواه البخاري ومسلم)

الفرح بالذكر

وإن أهل التصوف يفرحون فرحاً شديداً بساعة الذكر. ولا عجب في ذلك فقد ذكرنا ما للذكر من فضائل ومزايا، فبه تنوير القلب واطمئنانه، وبه تنزل الرحمة والسكينة.

قال رسول الله ﷺ : « لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ(١) الرَّحمَةُ وَنَزَلَت عَلَيْهِمُ السَّكِيْنَةُ(٢)، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »

(رواه مسلم)

ولقد ورد في السنَّة جواز الفرح في ساعة العرس وفي يوم العيد. وإن أهل التصوف يرون أنّ ساعة الذكر عندهم ألذ وأجمل وأسعد من ساعة العرس ومن يوم العيد.

جاء في الحديث : « اعْلِنُوا هَذَا النكاحَ واجْعَلُوهُ في المَسَاجِدِ واضْرِبُوا عَلَيْهِ بالدُّفُوفِ »

(رواه الترمذي)

---

(١) غشيتهم : عمتهم

(٢) السكينة: هي الحالة التي يطمئن بها القلب فيسكن عن الميل الى الشهوات.

وورد عن عائشة رضي الله عنها أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَان فِي أَيَّام مِنىً تُغَنِّيَان وَتَضْرِبَان وَرَسُولُ الله ﷺ مُسْجَى بِثَوْب فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْر، فَكَشَفَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ وَجْهِه وَقَال:

« دَعَهمْا يَا أَبَا بَكْر فَإِنَّهَا أيامُ عِيد »

(رواه البخاري ومسلم)

قال أبو بكر: أَبِمَزْمُور[1] الشّيْطان فِي بَيْتِ رَسُول الله ﷺ وذلك في يوم عيد،

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « يَا أَبَا بَكر إنَّ لِكُلِّ قَوْم عِيْدا وَهَذَا عِيْدُنَا ».

وإذا فرح المسلم بساعة الذكر ينبغي عليه أن يعلم أن للذكر آداباً يا حبذا لو تحلى بها ليكون أجره أعظم وحاله أكمل. نذكر منها:

أ ـــ أن يكون بنيَّة وإخلاص واستحضار.

ب ـــ أن يكون الذاكر على طهارة تامة وفي مكان طاهر خال ممَّا يشوش عليه.

---

(١) مزمور: صوت بصفير ويطلق على الغناء.

ج ـ استقبال القبلة.

خاتمة

وبالجملة فإن الذكر كما قال الشاعر :

ذِكْــرُ الإلـــه لِلقُلُــوبِ قـــوتُ
إذَا انْتَفَـــى فَإِنَّهــا تَمُـــوتُ

وقد روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« مَثَلُ الَّذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والَّذي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ ».

صفات النفس

وإن الشخص المسلم العالم العارف الذي يراقب ربَّه ويكثر من ذكره ويعمل جاهداً على امتثال أمره واجتناب نهيه والتقرُّب إليه بإداء الفرائض والإكثار من النوافل، تترقَّى نفسه، والنفوس بحسب أوصافها سبعة وهي :

الأولى : النفس الأمارة

الثانية : النفس اللوامة

الثالثة : النفس الملهمة

الرابعة : النفس المطمئنة

الخامسة : النفس الراضية

السادسة : النفس المرضية

السابعة : النفس الكاملة

وفيما يلي نوضح المقصود بكل نفس من هذه النفوس بشيء من الاختصار :

١ ــ النفس الأمَّارة

وهي نفوس الكفار ومن حذا حذوهم، لا تأمر صاحبها بخير أصلاً ومع ذلك راضية بأفعالها مُحَسِّنَة لها.

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا أُبَرِّئ نفسِي إِنَّ النَّفسَ لَأَمَّارةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[١].

٢ ــ النفس اللَّوَّامَة

وهي النفس التي تلوم صاحبها ولو كان مجتهداً في الطاعة. أو هي النفس التي جاهدها صاحبها وخالفها في شهواتها حتى أذعنت لاتباع الحق وسكنت تحت الأمر التكليفي ولكنها تغلب صاحبها في أكثر أحوالها ثم ترجع إليه باللوم على ما وقع منها. قال الله تعالى : ﴿ **وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَة** ﴾[٢].

٣ ــ النفس الملهمة

وهي النفس التي أُلهِمَت فجورها وتقواها. وعلامتها أن يعرف صاحبها دسائسها الخفية الدقيقة من الرياء

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٣.

(٢) سورة القيامة الآية ٢.

والعجب وغير ذلك. قال الله تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾[1].

٤ ـــ النفس المطمئنة

وهي النفس التي اطمأنت بالله وسكنت تحت مقاديره. وبتعبير آخر هي النفس التي زالت عنها الشهوات وتبدَّلت عندها الصفات المذمومة بالصفات المحمودة وتخلَّقت بأخلاق الله تعالى الجمالية من الرأفة والرحمة واللطف والكرم والود.

وإن صاحب هذه النفس يجب عليه أن يتنبه الى أنها لا تخلو من دسائس خفية جداً كالشرك الخفي وحب الرياسة والإعجاب. قال الله تعالى : ﴿ **يآ أَيَّتُهَا النَّفسُ المُطمئِنَّةُ * ارْجَعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾[2].

٥ ـــ النفس الراضية

هي التي رضيت عن الله في جميع حالاتها. وبتعبير آخر هي التي تمكنت من الصفات المحمودة وانقطع

---

(١) سورة الشمس الآيتان ٧ و ٨.

(٢) سورة الفجر الآيات ٢٧ ـــ ٣٠.

عنها عرق الرياء واستوى عندها المدح والذم وتواضعت ورضيت بكل ما يقع في الكون من غير اعتراض أصلاً.

٦ ــ النفس المرضية

هي التي جوزيت بالرضاء من الله لأن مَنْ رضي له الرضا.

٧ ــ النفس الكاملة

هي النفس التي صارت صفات الكمال لها طبعا وسجية.

تنبيهات هامة

١ ــ مرتبة النفس الكاملة هي مرتبة « حق اليقين » أي مشاهدة صنع الله تعالى في كل شيء. وقبلها يمر السالك بمرتبتين إحداهما « علم اليقين » أي معرفة الله تعالى بالبراهين ومرتبة « عين اليقين » أي مراقبة الله ومشاهدته قبل كل شيء.

وقد وضح لنا شيخنا محمد علي الطريفي رحمه الله تعالى هذه المسألة بمثال سهل محسوس فقال : اذا شاهد أحدنا دخاناً من على البعد فإنه يعلم أن هذا

الدخان ناتج عن وجود نار وهذا يسمى : « علم اليقين ».

ثم إذا أتى الناظر إلى مكان تصاعد الدخان ورأى النار مشتعلة بعيني رأسه فهذا يسمى : « عين اليقين ».

ثم إذا مَدّ الناظر يده الى هذه النار فأحرقته وشعر بشدة حرارتها فهذا يسمى « حق اليقين ».

قال الله تعالى في سورة التكاثر : ﴿ **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُون عِلمَ اليقين * لَتَرَونَّ الجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَونَّها عَيْنَ اليقين** ﴾[1].

وقال الله تعالى في سورة الواقعة : ﴿ **وأَمَّا إنْ كَانَ مِنَ المُكَذِّبِيْنَ الضَّالّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ** ﴾[2].

٢ ــ ينبغي للمسلم أن يعلم أنّ العواقب مجهولة فلا يأمن نفسه بل يسعى ويواصل في تزكيتها بفعل الطاعة وترك المعصية ومراقبة الله تعالى في جميع الأحوال وذكره آناء الليل وأطراف النهار.

---

(١) سورة التكاثر الآيات ٥ ــ ٧.

(٢) سورة الواقعة الآيات ٩٢ ــ ٩٥.

قال أحد العلماء رحمه الله تعالى: « النفس حَيَّةٌ[1] تَسْعَى ولو بلغت مراتبها السبعة ».

(١) تعبان لا يؤمن شره.

المتصوف الحقيقي

ممَّا تقدم ذكره يتضح لنا أن المتصوف الحقيقي هو مسلم قد عرف العقائد الإيمانية الصحيحة فاعتقدها، وعرف الأحكام الفقهية في العبادات والمعاملات فعمل بها، وعرف أمراض القلوب المختلفة فاجتنبها، وطهّر نفسه من جميع المعاصي والرذائل فابتعد عنها، ولسانه ذاكر آناء الليل وأطراف النهار، وقلبه مراقب للعزيز القهار، وهو مخلص لربه في أعماله ومحافظ على الفرض والنقل في جميع أحواله. وإنه من المعلوم أنَّ مَنْ كانت الصفات المذكورة أعلاه ديدنه، يكون قد عرّض نفسه لرحمة ربه ومحبته.

قال الله تعالى : **﴿ والَّذين جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنَّ الله لَمَعَ المُحْسِنِينَ ﴾**[1].

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

وجاء في الحديث : عن أَبي هريرةَ رَضيَ الله عَنْهُ قال :

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ الله تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لي وليّاً فَقَدْ آذنْتُهُ بِالحَرْبِ وَمَا تَقَرّبَ إليَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إليَّ مِمّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إليَّ بِالنَوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بِهَا. وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيْذَنَّهُ ».

(رواه البخاري)

ومحبة الله للعبد المكثر من النوافل أي الذي يكثر من العبادة زيادة على ما فرضه الله عليه، هي إرادة الخير من الله لهذا العبد بحيث يحفظ له سمعه وبصره ويده ورجله من ارتكاب المعاصي ومن غواية الشيطان وتصير جوارح العبد هذا كلها مسخرة في الطاعة وعمل الخير.

ولقد ذكر الشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي رحمه الله تعالى في كتابه « مُعِيدُ النّعم ومُبِيْدُ النّقم » جملاً عن الصوفية والمتصوف الحقيقي أردت أضافتها لهذا الكتاب لتعميم الفائدة، وقد قال ما نصه :

« وقد تشعَّبت الأقوال فيهم تشعُّباً ناشِئاً عن الجهل بحقيقتهم : لكثرة المتلبسين بها، بحيث قال الشيخ أبو مُحمّد الجُوَينيّ: لا يصحُّ الوقف عليهم؛ لأنه لا حدَّ لهم يعرف؛ والصحيح صحته، وأنَّهم المعرضون عن الدنيا، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة.

ومِنْ ثَمَّ قال الجنيد : « التصوف استعمال كل خُلُقٍ سَنِي، وتَرْكُ كل خُلُقٍ دنيّ ».

وقال أبو بكر الشِبْليّ : « التصوف ضبط حواسّكَ، ومراعاة أنفاسك ».

وقال ذو النون : « الصوفي مَنْ إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإذا سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق ».

وقال علي بن بُنْدار : « التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً »

وقال أبو علي الروُّذبارِيّ : « الصوفي مَنْ لبس الصوف على الصفا، وأذاق الهوى طعم الجفا، ولزم طريق المصطفى، وكانت الدنيا منه على القفا، ».

وكان الشيخ الإمام يقول : « الصوفي مَنْ لزم الصدق مع الحق، والخُلق مع الخَلق، وينْشِد:

تنازع النّاسُ في الصوفيِّ واختلفوا
قِدماً، وظنّوه مشتقّاً من الصوفِ
وَلَسْتُ أنحلُ هذه الاسمَ غيرَ فتىً
صَافىَ فصوفي، حتّى لُقِّبَ الصوفي

وهذه عبارات متقاربة. والحاصل أنهم أهل الله وخاصّتُهُ، الذين تُرْتَجَى الرحمة بذكرهم، ويُستَنزلُ الغيثُ بدعائهم، فرضي عنهم.

ومن أوصاف هذه الطائفة الرأفة والرحمة والعفو، والصفح، وعدم المؤاخذة. وضابطهم ما ذكرناه، وطريقهم كما قال شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله : « طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة ». وقال : « الطريق مسدود على خلق الله تعالى إلّا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ ».

ومن حقهم الوقوف في إظهار ما يطلعهم الله تعالى عليه من المغيّبات، ويخصهم به من الكرامات، على الإذن، وهم لا يجيزون إظهارها بلا فائدة، ولا يظهرونها إلّا عن إذن لفائدة، دينية : من تربية أو بشارة أو نِذَارَةٍ؛ كما قال الصديق رضي الله تعالى عنه لعائشة رضي الله تعالى عنها وقد كان نَحَلَهَا[1] جادّ عشرين وَسْقَا من ماله

---

(١) وعدها أن يعطيها ويمنحها نخلاً.

بالغابة فحضرته الوفاة، وأراد استرجاع الهبة، وتطييب قلبها مع ذلك :

والله يا بنيَّة ما من الناس أحد أحبّ إليّ غنىً بعدي منكِ، ولا أعز عليَّ فقراً بعدي منك، وإني كنت نحلتك جادّ عشرين وسقاً، فلو كُنت حُزْتيه كان لكِ. وإنما هو اليوم مال وارثٍ[1]، وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله تعالى :

قالت عائشة : والله يا أبتِ لو كان كذا وكذا لتركته؛ إنَّما هي أسماء فمن الأخرى ؟

فقال أبو بكر رضي الله عنه : ذلك، ذو بطن بنت خارجة أُراها جارية. فكان كذلك. فلم يظهر أبو بكر ذلك إلاَّ لاستطابة قلب عائشة رضي الله تعالى عنها.

وأمَّا قصة سارية، فإنّ عمر رضي الله تعالى عنه كان أمَّره على جيش، وجهّزه الى بلاد فارس، فاشتد الحال على عسكره بباب نَهَاوَنْدَ، وكاد المسلمون ينهزمون،

---

(١) أخبر سيدنا أبو بكر ابنته السيدة عائشة رضي الله عنهما باثنين من المغيبات، الأولى: أنه سيموت في مرضه ذلك « مال وارث » والثانية : أنّ زوجته بنت خارجة عندها حمل وهو انثى « أراها جارية » وتحقق كلامه فولدت أم كلثوم.

وعمر رضي الله تعالى عنه بالمدينة؛ فصعِد المنبر، ثُمَّ استغاث في أثناءِ خطبته بأعلى صوته :

يا ساريةُ الجبل، يا ساريةُ الجبل ــ الحكاية. فأسمع الله تعالى سارية وجنوده أجمعين ــ وهم بنهاوند ــ صوت عمر رضي الله عنه وعرفوه، وقالوا : هذا صوت أمير المؤمنين، يأمرنا بالالتجاء الى الجبل. فلجئوا إليه ونجوا ».

سمعت الشيخ الإمام يقول : سئل علي كرم الله وجهه وقد كان حاضراً في المسجد، وعمر يخطب ويستغيث بهذا الصوت : ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين ؟

فقال علي كرم الله وجهه : دعوا أمير المؤمنين، فما دخل في أمر إلّا وخرج منه. ثُمَّ تبين الحالُ بالآخرة. فنقول : عمر هنا ــ والله أعلم ــ لم يقصد إظهار الكرامة، وإنما الجأته الضرورة ــ وقد كشف له حال القوم ــ إلى أنقاذهم، فناداهم، ولعله غلب عليه الحال وغاب عن حسِّه ».

أ هـ. من كتاب معيد النعم ومبيد النقم.

أدعياء التصوف

ممَّا تقدم ذكره علمنا أن التصوُّف معرفة وعلم وعمل وإخلاص وصفاء القلب من الكدرات والشهوات. ولكن ظهر في هذا الزمان الكثير من أدعياء التصوف من غير علم ولا عمل، وقد كتب في شأنهم الشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي فقال ما نصه:

« وقد كَثُر مِنْ جماعة اتخاذ الخوانق[1] أسبابا، والدلوق[2] المرقعة طرائف للدنيا، فلم يتخلقوا من أخلاق القوم بغير لباس الزور. وهؤلاء المتشبهة الذين يقول فيهم الشافعي رضي الله تعالى عنه فيما نقل عنه : رجل أكول، نئوم، كثير الفضول.

وقال الإمام أبو المظفَّر بن السَمْعاني : ـــ « نعوذ بالله من العقرب والفار، ومن الصوفيّ إذا عرف باب الدار ».

---

(١) الخوانق : بيوت الوقف.

(٢) الدلوق : الملابس.

وقال شيخنا أبو حيَّان في هؤلاء : ـــ « أُكَلَة، بَطَلَة، سَطَلَة، لا شغل ولا مشغلة ».

وقيل : « رجل يظهر الإسلام، ويبطن فاسد العقيدة ونهاية الإقدام، في رجله جمجم وعذبته من قدام، يكون غالباً من بلاد الأعجام ».

وقال بعضهم :

ليس التصوُّف لبسَ الصوف ترقعه
ولا بكـاءك إنْ غنَّـى المغنونـــا »

(أه. من معيد النعم ومبيد النقم للشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي)

ولقد حذر الشيخ الإمام المقدسي مِمَّنْ تزيَّا بزيّ العارفين والعلماء العاملين من المتصوفة المبتدعة الجهال في قصيدة له ثم حث على حفظ مودة من دلَّ على الله مقاله وذكر بالله حاله، فقال رحمه الله :

ذَهَبَ الرجالُ وجالَ مثل مجالهـم
زمـرٌ مـنَ الأوبـاش[1] والأنـــذالِ[2]
لبســوا الدلـوقَ مرقعـاً وتقشَّفُـوا[3]
كتـــقشُّفِ الأبطـــالِ والأبـــدالِ

(١) الأوباش : الغوغاء.
(٢) الأنذال : جمع نذل أي الحقير.
(٣) التقشف : الزهد في الدنيا والأخذ منها بقدر الحاجة.

عمروا ظواهرَهُم بأثوابِ التُّقى
وحشَوْا بواطِنَهُم منَ الأدغالِ(1)
جعلوا المرا(2) فتحاً وألفاظَ الخطا
شطحاً وصَالُوا صولةَ الأدلالِ(3)
وترصَّدُوا كلَّ الحرامِ تخادُعاً
كتخادُعِ المتلصِّصِ المحتالِ
فاحذَرْهُمْ واحْفَظْ مَودَّةَ سَادَةٍ
قامُوا بذكْرِ اللهِ فِي الآصالِ
القانتينَ المخبتينَ لرَبِّهم
الناطقينَ بأَصْدَقِ الأقوالِ
التاركينَ حظوظَهُم ونفوسَهُم
المُؤْثرينَ بخالصِ الأموالِ
عَمَلوا بما علمُوا وجادُوا بالذي
وجَدُوا وما بخلُوا بفضلِ نوالِ
وإذا بَدَا ليلٌ سمِعْتَ أنينَهُمْ
وحنينَهُم بتضرُّعٍ وسؤالِ
وعيونُهُم تجري بفيضِ دموعِهِمْ
مثلَ انهمالِ الوابلِ الهطَّالِ

(١) الأدغال: السحت وكل مال حرام.

(٢) المرا : الجدال.

(٣) الأدلال : المتكبرون.

وقال بعضهم مقارنا بين الصوفي الحقيقي ومدَّعي التصوف :

ليس التصوُّفُ لُبسَ الصَّوفِ والخِلَقِ
بل التَّصوّفُ حُسْنُ الصَّمْتِ والخُلُقِ
فالبَسْ مِن اللبسِ ما تختارُ أنْتَ وقُمْ
جُنْحَ الظلامِ وَأْجْرِ الدَّمعَ في الغَسَقِ[1]
فَرُبَّ لَابِس الديباج[2] يُشْغِلُهُ
حبُّ الذي خلقَ الإنسانَ من علقِ[3]
وكم فتىً لابسٌ للخيشِ تحسَبُهُ
ناجٍ وذلك عند العارفين شقي
فإنَّ ذلك لم يحجبْهُ ملبسه
وذا مع اللبسِ مأسورٌ فلم يفقِ

---

(١) الغسق : الظلام
(٢) الديباج : ثوب مغشى بالحرير
(٣) عِلق : قطعة دم جامدة.

المراجع

١ ــ احياء علوم الدين ــ الإمام الغزالي ــ دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى الباب الحلبي.

٢ ــ موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين ــ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي ــ دار الفكر بيروت ص.ب. ٧٠٦١.

٣ ــ زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ــ مؤسسة الحلبي ــ ١٤ جواد حسني ــ القاهرة ــ تأليف محمد حبيب الله الشنقيطي.

٤ ــ الفتح الكبير من ضم الزيادة الى الجامع الصغير ــ يوسف النبهاني ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٥ ــ الترغيب والترهيب ــ المنذري ــ م. مصطفى البابي الحلبي.

٦ ــ رياض الصالحين ــ النووي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٧ ــ مختصر ابن ابي جمرة ــ حاشية الشنواني ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر.

٨ ــ الأربعين حديث ــ شرح الجرداني ــ مكتبة مضوي ودمدني ــ السودان.

٩ ــ الكبائر ــ شمس الدين الذهبي ــ المكتبة الثقافية ــ بيروت.

١٠ ــ العقد الفريد ــ احمد بن محمد بن عبد ربه ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١١ ــ حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ــ دار احياء الكتب العربية ــ عيسى البابي الحلبي.

١٢ ــ حاشية الصاوي على الخريدة ــ الدردير ــ مكتبة القاهرة ــ ش الصنادقية ــ الأزهر.

١٣ ــ حاشية العقباوي ــ مصطفى بن احمد العقباوي ــ مكتبة مصنوي ــ ودمدني ــ السودان.

١٤ ــ الحبل المتين ــ شرح ابن عاشر ــ محمد بن

المبارك المراكشي ــ مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ص.ب. ١٢٧ ــ الغورية ــ القاهرة.

١٥ ــ معيد النعم ومبيد النقم ــ تاج الدين السبكي ــ دار الحداثة ــ بيروت ص.ب. ٥٦٣٦ /١٤ ١٩٨٥ م

١٦ ــ أزاهير الرياض.

تنبيه : يا حبذا أيها المسلم لو اقتنيت هذه الكتب لتعمر بقراءتها أوقاتك.

الفهرس

للمؤلف

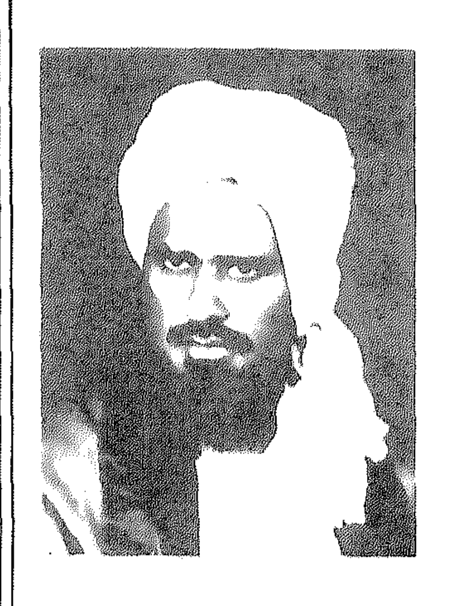
آداب المعاملة في الإسلام
أبو بكر الصديق
أخلاق النبي
أدب المرأة المسلمة
الأذكار اليومية
أسرار زوجات
أضواء على الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر
أضواء على تعليم القرآن في خلاوي السودان
أمراض القلوب وعلاجها
أوضح التعليقات على دلائل الخيرات
تذكرة العلماء والمتعلمين
ترغيب في الصلاة على النبي
تعليقات حسان على كتاب من فضائل القرآن
توقير المصطفى
الحجاج بن يوسف الثقفي

حوار الأسرة المسلمة حول تجهيز الميت
حوار الأسرة المسلمة حول الزواج
حوار الأسرة المسلمة حول سيرة أولاد النبي
الختان والخفاض
الدعاء الصالح
ذكر الله
شجاعة النبي
العرس في الإسلام
العقيقة تسمية المولود
علم الميراث
فقه الطلاق
فقه المرأة المسلمة
فقه وخطب الجمعة والعيدين
كرم النبي
كيفية الحج والعمرة
كيفية الزكاة
كيفية الشهادتين
كيفية الصلاة
كيفية الصيام
كيفية الغسل
لطائف الرجال

لطائف من حياة أزواج وزوجات
لطائف النساء
المآتم في بيوت الأفراح والمآتم
من فضائل السور والآيات
من قصص النساء
من نصائح الآباء للأبناء
المنهج التعليمي في الإسلام
نساء مؤمنات
نشأة النبي

تحت الطبع

أحكام السهو في الصلاة
الأحكام الفقهية الأساسية بشرح متن العزية
حوار الاسرة المسلمة حول زوجات النبي.
خصائص زوجات الرسول
سيرة خالد بن الوليد
سيرة عمر بن الخطاب
الصبر الجميل
فقه الطهارة



نبذة عن حياة المؤلف

ولد بأم درمان	١٩٤٨م
وتلقى تعليمه:	
الأولي: مدرسة النموذجية أم درمان	٥٦ ـ ١٩٥٩
الأوسط: مدرسة بيت الأمانة أم درمان	٦٠ ـ ١٩٦٣
الثانوي: مدرسة المؤتمر ام درمان	٦٤ ـ ١٩٦٧
الجامعي: جامعة الخرطوم ـ كلية العلوم	٦٨ ـ ١٩٧١
حاز على بكالوريوس علوم (كيمياء ـ نبات)	أغسطس ١٩٧١
عمل مدرساً للأحياء بالثانوي العالي	٧١ ـ ١٩٧٧
حاز على دبلوم تربية عالي ـ جامعة الخرطوم	ديسمبر ١٩٧٨